رمضان شهر الانتصارات

جمع وترتيب

من خطب ومحاضرات فضيلة الشيخ

أبي عبد الله محمد بن سعيد رسلان

حفظه الله تعالى

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ﷺ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

- **أَمَّا بَعْدُ:**

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

- **أَمَّا بَعْدُ:**

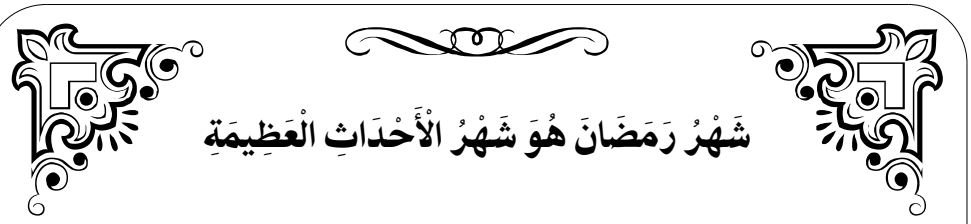

شَهْرُ رَمَضَانَ هُوَ شَهْرُ الْأَحْدَاثِ الْعَظِيمَةِ

فَقَدْ شَهِدَ شَهْرُ رَمَضَانَ العَديدَ مِنَ الأَحْدَاثِ الفَارِقَةِ فِي مَسِيرَةِ التَّارِيخِ الإِنْسَانِيِّ عَامَّةً، وَالإِسْلَامِيِّ خَاصَّةً، وَمِنْ ذَلِكَ:

*** بَعْثَةُ النَّبِيِّ ﷺ، وَنُزُولُ الْوَحْيِ فِي رَمَضَانَ:**

إِنَّ شَهْرَ رَمَضَانَ هُوَ شَهْرُ الْأَحْدَاثِ الْجِسَامِ وَالْانْتِصَارَاتِ الْعِظَامِ، وَمِنْ أَكْبَرِ الْأَحْدَاثِ الَّتِي شَهِدَهَا الْعَالَمُ إِنْ لَمْ يَكُنْ أَكْبَرَهَا: بَدْءُ نُزُولِ الْوَحْيِ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

وَقَدْ بَدَأَ ذَلِكَ النُّزُولُ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ، وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ قَدِ اعْتَادَ فِي رَمَضَانَ مِنْ كُلِّ عَامٍ أَنْ يَذْهَبَ إِلَىٰ غَارِ حِرَاءٍ بِمَكَّةَ؛ مِنْ أَجْلِ أَنْ يَتَحَنَّثَ اللَّيَالِيَ ذَوَاتِ الْعَدَدِ، وَكَانَ يَأْخُذُ مَعَهُ ﷺ مَا تَيَسَّرَ مِنْ زَادٍ.

فَإِذَا قَضَىٰ ﷺ وَطَرَهُ مِنْ تِلْكَ الْخَلْوَةِ فِي الْغَارِ، وَنَفِدَ مَا مَعَهُ مِنَ الزَّادِ؛ نَزَلَ إِلَىٰ أَهْلِهِ بِمَكَّةَ؛ لِيَتَزَوَّدَ مَرَّةً أُخْرَىٰ، حَتَّىٰ أَذِنَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أَنْ يَبْدَأَ نُزُولُ الْوَحْيِ عَلَيه ﷺ، وَجَاءَهُ جِبْرِيلُ عليه السلام وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءٍ؛ وَنُبِّئَ النَّبِيُّ ﷺ بِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿اقْرَأْ﴾ [العلق:١]، وَكَانَ أَمْرًا عَظِيمًا لَمْ يَشْهَدْهُ النَّبِيُّ ﷺ، وَلَا هُوَ بِالْمَعْهُودِ فِي حَيَاةِ النَّاسِ.

وَفُوجِئَ النَّبِيُّ ﷺ بِمَا كَانَ مِنْ أَمْرِ الوَحْيِ وَالمَلَكِ، وَنَزَلَ مِنَ الْغَارِ تَرْتَعِدُ فَرَائِصُهُ، وَهَوَّنَتْ خَدِيجَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا الطَّاهِرَةُ الْبَرَّةُ عَلَىٰ الرَّسُولِ ﷺ مَا كَانَ، مُقْسِمَةً بِاللهِ جَلَّوَعَلَا أَنَّ اللهَ لَا يُخْزِيهِ أَبَدًا، مُسْتَدِلَّةً عَلَىٰ ذَلِكَ بِمَا كَانَ مِنْ كَرِيمِ الْخِصَالِ وَعَظِيمِ الْفَعَالِ الَّذِي كَانَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَيْهِ مِنَ الْخُلُقِ الْحَسَنِ، وَمِمَّا كَانَ يَأْتِي بِهِ ﷺ مِنَ الْمَكْرُمَاتِ، حَيْثُ قَالَتْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «وَاللهِ لَا يُخْزِيكَ اللهُ أَبَدًا».

ثُمَّ أَخَذَتْ رَسُولَ اللهِ ﷺ إِلَىٰ ابْنِ عَمِّهَا وَرَقَةَ بْنِ نَوْفَلٍ، فَقَصَّ الرَّسُولُ ﷺ عليه مَا كَانَ، فَقَالَ وَرَقَةُ -وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا قَدْ عَمِيَ، وَقَرَأَ فِي كُتُبِ أَهْلِ الْكِتَابِ، وَكَانَ مُنْتَظِرًا مَقْدِمَ النَّبِيِّ الْخَاتَمِ ﷺ-، فَلَمَّا قَصَّ عَلَيْهِ الرَّسُولُ ﷺ مَا كَانَ، قَالَ: «قُدُّوسٌ قُدُّوسٌ، إِنَّهُ النَّامُوسُ الَّذِي كَانَ يَنْزِلُ عَلَىٰ مُوسَىٰ، يَا لَيْتَنِي كُنْتُ فِيهَا جَذَعًا، أَمَا إِنِّي لَوْ كُنْتُ حَيًّا إِذْ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ؛ لَنَصَرْتُكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا».

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**أَوَ مُخْرِجِيَّ هُمْ؟**».

فَقَالَ: «مَا جَاءَ أَحَدٌ قَوْمَهُ بِمِثْلِ مَا أَتَيْتَ بِهِ إِلَّا عُودِيَ».

ثُمَّ لَمْ يَنْشَبْ أَنْ مَاتَ، وَمَضَىٰ الْوَحْيُ مُتَتَابِعًا(١).

فَأَنْزَلَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ الْقُرْآنَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ، وَبَدَأَ الْوَحْيُ الْمَعْصُومُ الَّذِي غَيَّرَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بِهَدْيِهِ الدُّنْيَا كُلَّهَا، وَأَخْرَجَ بِهِ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَىٰ النُّورِ، بَدَأَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ: ﴿**شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ**﴾ [البقرة: ١٨٥].

---

(١) أخرجه البخاري في (بدء الوحي، ١: ٣، رقم ٣) وفي مواضع، ومسلم في (الإيمان، ٧٣: ١، رقم ١٦٠)، من حديث: عَائِشَةَ أُمِّ المُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

وَ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ [القدر: ١].

فَهَذَانِ مَوْضِعَانِ دَلَّ فِيهِمَا رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عَلَىٰ أَنَّ الْقُرْآنَ أُنْزِلَ عَلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ بَدْءًا فِي شَهْرِ رَمَضَانَ، وَهَذَا الْحَدَثُ الْفَرِيدُ فِي تَارِيخِ الْبَشَرِيَّةِ كُلِّهَا كَانَ فَارِقًا بَيْنَ عَهْدَيْنِ؛ بَيْنَ مَا قَبْلَ الْوَحْيِ الْمُنَزَّلِ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَمَا بَعْدَ ذَلِكَ؛ لِأَنَّ رِسَالَةَ الرَّسُولِ ﷺ هِيَ آخِرُ رِسَالَاتِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ إِلَىٰ أَهْلِ الْأَرْضِ.

وَالرَّسُولُ ﷺ أَرْسَلَهُ اللهُ إِلَىٰ النَّاسِ كَافَّةً فِي عُمُومِ الزَّمَانِ وَالْمَكَانِ، وَإِلَىٰ الْجِنِّ كَذَلِكَ، فَهَذَا حَدَثُ الْأَحْدَاثِ فِي تَارِيخِ الْبَشَرِيَّةِ؛ نُبِّئَ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ﷺ، وَبَدَأَ نُزُولُ الْوَحْيِ فِي رَمَضَانَ.

وَالنَّبِيُّ ﷺ فِي السَّنَةِ الْعَاشِرَةِ مِنَ الْبَعْثَةِ؛ تُوُفِّيَ عَمُّهُ، وَتُوُفِّيَتْ زَوْجُهُ خَدِيجَةُ -رَضِيَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عَنْهَا-، وَضَاقَتْ مَكَّةُ بِالدَّعْوَةِ، وَأَجْمَعَ أَهْلُهَا عَلَىٰ الْكُفْرِ وَالشِّرْكِ، وَمُعَادَاةِ الرَّسُولِ ﷺ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ يَتَلَمَّسُ مَجَالًا جَدِيدًا لِتَفْتَحَهُ الدَّعْوَةُ بِنُورِهَا، وَلْتُنْشَرَ فِيهِ هِدَايَةُ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَىٰ الطَّائِفِ؛ وَعُظْمُ أَهْلِهَا مِنْ ثَقِيفٍ، وَعَرَضَ النَّبِيُّ ﷺ الدَّعْوَةَ عَلَىٰ ثَلَاثَةٍ مِنْ سَادَتِهَا؛ وَهُمْ: عَبْدُ يَالِيلَ بْنُ عَمْرٍو ،وأَخَوَاهُ حَبِيبٌ وَمَسْعُودٌ، فَكَانُوا بَيْنَ مُكَذِّبٍ وَسَاخِرٍ.

قَالَ أَحَدُهُمْ لِلنَّبِيِّ ﷺ: «إِنَّهُ يُمَزِّقُ أَسْتَارَ الْكَعْبَةِ إِنْ كَانَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ قَدْ أَرْسَلَهُ».

وَقَالَ الْآخَرُ: «إِنْ كَانَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ قَدْ أَرْسَلَكَ؛ فَأَنْتَ أَجَلُّ فِي عَيْنِي مِنْ أَنْ أُكَلِّمَكَ، وَإِنْ كُنْتَ تَكْذِبُ عَلَىٰ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ؛ فَأَنْتَ أَقَلُّ مِنْ أَنْ أُكَلِّمَكَ، فَلَا أُكَلِّمُكَ عَلَىٰ كُلِّ حَالٍ».

وَأَمَّا الثَّالِثُ؛ فَقَالَ لِلرَّسُولِ ﷺ: «أَلَمْ يَجِدِ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ غَيْرَكَ لِيُرْسِلَهُ؟!!».

وَأَبَىٰ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وَقَدْ سَلَّطُوا عَلَيْهِ الْغِلْمَانَ وَالسُّفَهَاءَ، فَقَذَفُوهُ بِالْحِجَارَةِ حَتَّىٰ دُمِّيَتْ عَقِبُهُ ﷺ.

وَالْتَجَأَ إِلَىٰ ظِلِّ حَائِطٍ لِعُتْبَةَ وَشَيْبَةَ وَلَدَيْ رَبِيعَةَ وَقَدْ عَطَفَتْهُمَا عَلَيْهِ الرَّحِمُ، فَأَرْسَلَا عَدَّاسًا -وَكَانَ غُلَامًا لَهُمَا نَصْرَانِيًّا- بِقِطْفٍ مِنْ عِنَبٍ، وَأَبَىٰ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ إِلَّا أَنْ يَقَعَ الْاعْتِذَارُ لِلرَّسُولِ ﷺ قَبْلَ أَنْ يُبَارِحَ، فَذَهَبَ عَدَّاسٌ بِالْعِنَبِ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ، فَلَمَّا أَهْوَىٰ إِلَيْهِ الرَّسُولُ ﷺ؛ قَالَ: «**بِسْمِ اللهِ**».

فَقَالَ عَدَّاسٌ: هَذَا شَيْءٌ لَمْ أَسْمَعْهُ قَطُّ مِنْ أَهْلِ هَذِهِ الْأَرْضِ.

فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «**مِنْ أَيْنَ أَنْتَ يَا عَدَّاسُ؟**».

فَقَالَ: مِنْ نِينَوَىٰ.

قَالَ: «**مِنْ بَلَدِ الرَّجُلِ الصَّالِحِ يُونُسَ بنِ مَتَّىٰ؟**».

فَقَالَ: وَمَا يُدْرِيكَ بِيُونُسَ؟

قَالَ: «**هُوَ أَخِي، كَانَ نَبِيًّا، وَأَنَا نَبِيٌّ** ﷺ»(١).

---

(١) «السيرة» لابن هشام (١/ ٤١٩ - ٤٢١).

فَأَهْوَىٰ عَدَّاسٌ عَلَىٰ رَأْسِهِ وَيَدَيْهِ وَقَدَمَيْهِ مُقَبِّلًا، وَعَادَ إِلَىٰ سَيِّدَيْهِ؛ فَقَالَا: وَيْحَكَ يَا عَدَّاسُ؛ مَا هَذَا الَّذِي صَنَعْتَ مَعَ الرَّجُلِ؟

قَالَ: إِنَّهُ لَيْسَ عَلَىٰ ظَهْرِ الْأَرْضِ أَحَدٌ هُوَ خَيْرٌ مِنْهُ ﷺ.

فَهَكَذا كَذَّبَتْ ثَقِيفٌ، وَقَدْ ذَهَبَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَىٰ الطَّائِفِ دَاعِيًا؛ فَلَقِيَتْهُ بِكُلِّ سُوءٍ؛ حَتَّىٰ قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لِلنَّبِيِّ ﷺ: «هَلْ وَجَدْتَ مِنْ قَوْمِكَ يَوْمًا قَطُّ كَانَ أَشَدَّ عَلَيْكَ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ؟».

قَالَ ﷺ: «**لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ، وَأَشَدُّ مَا كَانَ مِنْ ذَلِكَ لَمَّا ذَهَبْتُ إِلَىٰ الطَّائِفِ لِدَعْوَةِ ثَقِيفٍ إِلَىٰ دِينِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، فَكَانَ مِنْهُمْ مَا هُوَ مَعْلُومٌ.**

قَالَ: **فَذَهَبْتُ مَغْمُومًا، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلَّا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ، فَسَمِعْتُ حِسًّا فِي السَّمَاءِ، فَإِذَا هُوَ جِبْرِيلُ يَقُولُ: يَا مُحَمَّدُ؛ إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ قَدْ عَلِمَ مَا قَالَ لَكَ قَوْمُكَ وَمَا صَنَعُوا، وَقَدْ أَرْسَلَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ، فَإِنْ شِئْتَ أَنْ يُطْبِقَ عَلَيْهِمُ الْأَخْشَبَيْنِ فَعَلَ**[1].

فَقَالَ ﷺ: **لَا، اللَّهُمَّ اهْدِ قَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ**»[2].

---

(١) أخرجه البخاري في (بدء الوحي، ٧: ٨، رقم ٣٢٣١)، وفي (التوحيد، ٩: ٣، رقم ٧٣٨٩) مختصرا، ومسلم في (الجهاد، ٣٩: ٥، رقم ١٧٩٥)، من حديث: عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وفي آخره: فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**بلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا**».

(٢) أخرجه البخاري في (أحاديث الأنبياء، ٥٤: ١٤، رقم ٣٤٧٧)، وفي (استتابة المرتدين، ٥، رقم ٦٩٢٩)، ومسلم في (الجهاد، ٣٧: ٦، رقم ١٧٩٢)، من حديث: عَبدِ اللهِ بنِ

* غَزْوَةُ بَدْرٍ فِي رَمَضَانَ فِي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ مِنَ الْهِجْرَةِ:

وَفِي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ مِنْ هِجْرَةِ الرَّسُولِ ﷺ: نَمَا إِلَىٰ عِلْمِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّ أَبَا سُفْيَانَ فِي عِيرٍ عَظِيمَةٍ، وَقَافِلَةٍ كَبِيرَةٍ، وَمَالٍ وَفِيرٍ، ورِزْقٍ غَزِيرٍ قَدْ خَرَجَ إِلَىٰ الشَّامِ، فخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ أَوْ أَرْسَلَ، فَلَمْ يُدْرِكْ.

ثُمَّ نَمَا إِلَىٰ عِلْمِهِ ﷺ بَعْدُ أَنَّ أَبَا سُفْيَانَ قَافِلٌ بِالْقَافِلَةِ، فَأَرَادَ الرَّسُولُ ﷺ أَنْ يَسْتَطْلِعَ الْأَمْرَ، وَأَرْسَلَ رَجُلَيْنِ عَلَىٰ بَعِيرَيْنِ مِمَّا يُعْلَفُ بِعَلَائِفِ يَثْرِبَ، فخَرَجَا.

وَأَمَّا أَبُو سُفْيَانَ؛ فَقَدْ كَانَ أَرِيبًا حَصِيفًا رضي الله عنه، فذَهَبَ إِلَىٰ مَجْدِيٍّ، فَسَأَلَهُ: هَلْ رَأَيْتَ مَا يُرِيبُ؟

قَالَ: لَا، غَيْرَ أَنِّي رَأَيْتُ رَجُلَيْنِ قَدْ أَنَاخَا بَعِيرَيْهِمَا فِي هَذَا المَوْضِعِ.

فَذَهَبَ أَبُو سُفْيَانَ رضي الله عنه، فَفَتَّ البَعْرَ؛ فوَجَدَ النَّوَىٰ -نَوَىٰ يَثْرِبَ-، فَقَالَ: هَذِهِ واللهِ عَلَائِفُ يَثْرِبَ، وَإِنَّ مُحَمَّدًا لَنَا لَبِالْمِرْصَادِ، وَأَرْسَلَ إِلَىٰ قُرَيْشٍ أَنْ أَدْرِكُوا عِيرَكُمْ، وخَالَفَ هُوَ إِلَىٰ سَاحِلِ البَحْرِ فَنَجَىٰ.

وَنَدَبَ الرَّسُولُ ﷺ أَصْحَابَهُ لِلْخُرُوجِ لِلْعِيرِ لَا لِلنَّفِيرِ، فَخَرَجَ مَعَهُ ثَلَاثُمِئَةٍ وبِضْعَةَ عَشَرَ رَجُلًا مِنَ الصَّحَابَةِ رضي الله عنهم، جُلُّهُمْ مِنَ الْأَنْصَارِ، وَلَمْ يَعْزِمْ عَلَيْهِمْ فِي الخُرُوجِ، وَمَا ظَنَّ الَّذِينَ تَخَلَّفُوا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ يَجِدُ قِتَالًا، وَلَوْ

=

مَسْعُودٍ، قَالَ: كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَحْكِي نَبِيًّا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ ضَرَبهُ قَوْمُهُ، وَهُوَ يَمْسَحُ الدَّمَ عَنْ وَجْهِهِ، وَيَقُولُ: «**رَب اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ**».

ظَنُّوا ذَلِكَ مَا تَخَلَّفَ عَنْهُ وَاحِدٌ، وَلَفَدَوْهُ بِأَرْوَاحِهِمْ -رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِمْ، وَصَلَّىٰ اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ-.

خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ لِيَتَعَرَّضَ لِلْعِيرِ؛ لِيَرُدَّ بَعْضَ ما سُلِبَ مِمَّا نَهَبَتْ قُرَيْشٌ وَاسْتَوْلَتْ عَلَيْهِ؛ لِأَنَّهَا لَمْ تُبْقِ لِأَحَدٍ مِنَ المُسْلِمِينَ شَيْئًا من مالٍ أو متاعٍ؛ حَتَّىٰ قَالَ الرَّسُولُ ﷺ لَمَّا نَزَلَ مَكَّةَ فَاتِحًا، فَلَمْ يَجِدْ مَكَانًا يَنْزِلُ فيهِ، وقَدْ قِيلَ لَهُ: فَلْتَنْزِلْ في دَارِكَ وَدَارِ أَبِيكَ.

فَقَالَ ﷺ: «**وهَلْ أَبْقَىٰ لَنَا عَقِيلٌ مِنْ دَارٍ؟!**»(١).

فَلَمْ يَكُنْ لَهُ بِمَكَّةَ دَارٌ -صَلَّىٰ اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ-، فَنَزَلَ عِنْدَ أُمِّ هَانِئٍ.

إِذَنْ، النَّبِيُّ ﷺ إِنَّمَا خَرَجَ لِيَرُدَّ بَعْضَ مَا سُلِبَ مِنْ ثَرْوَاتِ قُرَيْشٍ الَّتِي نَهَبَتْ مِنَ المُسْلِمِينَ، وَمَا كَانَ فِي هَذَا مِنْ عَابٍ، وَمَا عَلَىٰ المُسْلِمِينَ فِي فِعْلِهِ مِنْ تَثْرِيبٍ، وَإِنَّمَا هُوَ رَدٌّ لِبَعْضِ الحَقِّ السَّلِيبِ.

وَأَبَىٰ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ إِلَّا أَنْ يَلْقَىٰ ﷺ النَّفِيرَ، وأَلَّا يَلْقَىٰ العِيرَ وَمَعَهُ هَذِهِ الثُّلَّةُ المُبَارَكَةُ مِنْ أَصْحَابِهِ -رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ-.

---

(١) أخرجه البخاري في (الحج، ٤٤، رقم ١٥٨٨)، ومسلم في (الحج، ٨٠، رقم ١٣٥١) ، من حديث: أُسَامَةَ بنِ زَيْدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، أَنَّهُ قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَيْنَ تَنْزِلُ فِي دَارِكَ بمَكَّةَ؟ فَقَالَ: «**وَهَلْ تَرَكَ عَقِيلٌ مِنْ رِباعٍ أَوْ دُورٍ**»، وَكَانَ عَقِيلٌ وَرِثَ أَبا طَالِب هُوَ وَطَالِب، وَلَمْ يَرِثْهُ جَعْفَرٌ وَلَا عَلِيٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، شَيْئًا لِأَنَّهُمَا كَانَا مُسْلِمَيْنِ، وَكَانَ عَقِيلٌ وَطَالِب كَافِرَيْنِ.

نَزَلَ النَّبِيُّ ﷺ بَدْرًا، وَأَمَّا قُرَيْشٌ؛ فَإِنَّهَا أَعَدَّتْ عُدَّتَها، وجَاءَتْ لِلِقَاءِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فأَدْرَكَهُمُ البَشِيرُ؛ أَرْسَلَهُ أَبُو سُفْيَانَ: أَنَّ اللهَ قَدْ نَجَّىٰ عِيرَكُمْ، وحَفِظَ عَلَيْكُمْ أَمْوَالَكُمْ؛ فَلَا تَخْرُجُوا لِلِقَاءِ مُحَمَّدٍ وَحِزْبِهِ ﷺ.

فَقَالَ فِرْعَوْنُ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَبُو جَهْلٍ: «وَاللهِ لَا نَعُودُ حَتَّىٰ نَنْزِلَ بَدْرًا، حَتَّىٰ نُوقِدَ النِّيرَانَ، ونَنْحَرَ الجُزُرَ، وتَعْزِفَ عَلَيْنَا القِيَانُ، وحَتَّىٰ تَسْمَعَ بِنَا العَرَبُ، فَمَا يَزَالُونَ فِي هَيْبَةٍ مِنَّا أَبَدًا».

وَأَبَىٰ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ إِلَّا أَنْ تَسْمَعَ بِهِمُ العَرَبُ؛ بَلْ أَبَىٰ اللهُ إِلَّا أَنْ تَسْمَعَ بِهِمُ الدُّنْيَا إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ، وَبَدَلَ أَنْ يَنْحَرُوا الجُزُرَ؛ نُحِرُوا هُمْ، وَبَدَلَ أَنْ تَعْزِفَ عَلَيْهِمُ القِيَانُ؛ نَاحَتْ عَلَيْهِمُ النَّوَائِحُ، وَبَدَلَ أَنْ يُوقِدُوا النِّيرَانَ؛ أُوقِدَتْ لَهُمُ النِّيرَانُ: ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [يوسف: ٢١].

أَبَوْا أَنْ يَعُودُوا، وَعَلِمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِمَا كَانَ، وَاسْتَشَارَ أَصْحَابَهُ رضي الله عنهم، فتَكَلَّمَ المُهَاجِرُونَ فَأَحْسَنُوا، وَهُوَ يَقُولُ ﷺ: «**أَلَا تُشِيرُونَ عَلَيَّ أَيُّهَا النَّاسُ؟**».

فَقَامَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ رضي الله عنه، فَقَالَ: «كَأَنَّكَ تَعْنِينَا يَا رَسُولَ اللهِ»؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ فِي بَيْعَةِ العَقَبَةِ، لَمْ يَشْتَرِطْ عَلَيْهِمْ حِمَايَتَهُ خَارِجَ المَدِينَةِ، فَأَرَادَ أَنْ يَسْتَوْثِقَ، وَكَانَ عِبْءُ المَعْرَكَةِ إِنْ وَقَعَتْ سَيَكُونُ عَلَىٰ كَوَاهِلِ الْأَنْصَارِ رضي الله عنهم؛ لِكَثْرَةِ العَدَدِ، ثُمَّ هُمْ لَمْ يُعْطُوا العَهْدَ وَالمِيثَاقَ لِلنَّبِيِّ ﷺ فِي البَيْعَةِ بِحِمَايَتِهِ خَارِجَ مَدِينَتِهِ ﷺ، فَأَرَادَ أَنْ يَسْتَوْثِقَ.

فَقَامَ سَعْدٌ، فَقَالَ: «كَأَنَّكَ تَعْنِينَا يَا رَسُولَ اللهِ».

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَجَلْ».

فَقَالَ سَعْدٌ رضي الله عنه: «يَا رَسُولَ اللهِ؛ وَاللهِ لَوِ اسْتَعْرَضْتَ بِنَا هَذَا البَحْرَ فخُضْتَهُ؛ لَخُضْنَاهُ خَلْفَكَ، امْضِ لِمَا تُحِبُّ يَا رَسُولَ اللهِ؛ فَوَاللهِ إِنَّا لَصُدُقٌ عِنْدَ اللِّقَاءِ، وَوَاللهِ إِنَّا لَشُجْعَانٌ فِي الحُرُوبِ... إِلَىٰ آخِرِ مَا قَالَ»، فَدَعَا لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ(١).

وَوَقَعَ ذَلِكَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ، وَكانَتْ مَعرَكَةً حَاسِمَةً فَاصِلَةً فِي تَارِيخِ المُسلِمِينَ، وسُمِّيَتْ بِيَومِ الفُرْقَانِ؛ حَيْثُ فَرَقَتْ بَينَ زَمَنِ الاسْتِضْعَافِ، وَزَمَنِ قُوَّةِ المُسْلِمِينَ، فَرَقَتْ بَينَ الحَقِّ وَالبَاطِلِ، وَلا ضَيرَ فَهِيَ فِي شَهرِ رَمَضانَ، شَهْرِ الفُرْقَانِ.

وَدَائِمًا تَكُونُ الْأَحْدَاثُ عَلَىٰ هَذَا النَّحْوِ: فَسَادٌ يَسْتَشْرِي فِي الْعَالَمِ، وَمُفْسِدُونَ يَتَسَلَّطُونَ عَلَىٰ أَقْوَاتِ النَّاسِ وَأَرْزَاقِهِمْ، وَعَلَىٰ مُسْتَقْبَلِهِمْ وَحَيَاتِهِمْ، يُبَدِّلُونَ وَجْهَ الحَيَاةِ المُشْرِقَ، وَيَسْتَعْبِدُونَ الخَلْقَ مِنْ دُونِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وَيَرْكَبُونَ أَكْتَافَ النَّاسِ بِغَيْرِ مُوجِبٍ وَلَا حَقٍّ، ثُمَّ تَأْتِي إِرَادَةُ التَّغْيِيرِ، لَا إِرَادَةُ التَّدْمِيرِ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١].

وَكَانَتْ فُرْقَانًا فِي تَارِيخِ العَالَمِ كُلِّهِ، فُرْقَانًا بَيْنَ عَهْدٍ مَضَىٰ وَعَهْدٍ بَقِيَ، لَا يَعْلَمُ إِلَّا اللهُ مَتَىٰ يَنْقَضِي!

كَانَتْ فُرْقَانًا كَمَا وَصَفَهَا اللهُ رَبُّ العَالَمِينَ وَوَصَفَ يَوْمَهَا، فِي السَّابِعَ عَشَرَ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ، فِي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ مِنْ هِجْرَةِ النَّبِيِّ ﷺ، وَدَارَتْ رَحَىٰ الحَرْبِ

(١) «السيرة» لابن هشام (١/ ٦١٥).

الضَّرُوسِ بَيْنَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَمَعَهُ ثَلَاثُمِئَةٍ وَبِضْعَةَ عَشَرَ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِهِ رضي الله عنهم، وَمَا مَعَهُمْ إِلَّا الْقَلِيلُ مِنَ الظَّهْرِ، فَكَانَ الثَّلَاثَةُ وَالْأَكْثَرُ يَتَعَاقَبُونَ عَلَىٰ البَعِيرِ الوَاحِدِ مَرْحَلَةً وَمَرْحَلَةً وَمَرْحَلَةً، ثُمَّ فَلْيَمْضِ البَعِيرُ هَانِئًا مَرْحَلَةً؛ رَحْمَةً وَشَفَقَةً وَعَدْلًا لَا جَوْرَ فِيهِ وَلَا ظُلْمَ يَلْحَقُهُ، وَبِهِ يَنْصُرُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ النَّاسَ.

دَارَتْ رَحَىٰ المَعْرَكَةِ بَيْنَ هَذِهِ الثُّلَّةِ المُبَارَكَةِ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَأَلْفٍ مِنَ المُشْرِكِينَ، خَرَجُوا لِلِّقَاءِ، وَخَرَجُوا لِلنِّزَالِ، وَأَمَّا أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ؛ فَإِنَّمَا خَرَجُوا لِلْعِيرِ، وَلَمْ يَخْرُجُوا لِلنَّفِيرِ، وَمَا اتَّخَذُوا لِلْأَمْرِ عُدَّةً، وَمَا أَعَدُّوا لَهُ أُهْبَةً، وَإِنَّمَا خَرَجُوا خُرُوجًا يَسِيرًا لَمْ يَعْزِمْ فِيهِ رَسُولُ اللهِ عَلَيْهِمْ أَنْ يَخْرُجُوا، وَلَا أَنْ يَكُونُوا عَلَىٰ اسْتِعْدَادٍ لِحَرْبٍ.

وَمَعَ ذَلِكَ نَصَرَهُمُ اللهُ رَبُّ العَالَمِينَ؛ لِأَنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ هُوَ نَاصِرٌ حِزْبَهُ، وَهُوَ الَّذِي يُعْلِي كَلِمَتَهُ، وَهُوَ الَّذِي يَرْفَعُ رَايَةَ الحَقِّ، وَهُوَ الَّذِي يُعِزُّ مَنْ نَصَرَهُ؛ لِأَنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ نَاصِرٌ مَنْ نَصَرَهُ، وَالرَّسُولُ ﷺ يَضْرَعُ إِلَىٰ رَبِّهِ، وَيَتَوَجَّهُ مُبْتَهِلًا إِلَىٰ اللهِ رَبِّ العَالَمِينَ بِالدُّعَاءِ: «**اللهم إِنْ تَهْلِكْ هَذِهِ العِصَابَةُ -يَعْنِي أَصْحَابَهُ-؛ فَلَنْ تُعْبَدَ فِي الأَرْضِ**»(١).

وَالكُفَّارُ يَسْتَفْتِحُونَ: «اللَّهُمَّ عَلَىٰ أَقْطَعِنَا لِلرَّحِمِ، وَعَلَىٰ مَنْ آتَانَا بِمَا لَا نَعْرِفُ، وَعَلَىٰ أَبْعَدِنَا مِنَ الحَقِّ دِينًا»(٢)، يَسْتَفْتِحُ بِذَلِكَ المُشْرِكُونَ الكَافِرُونَ،

---

(١) أخرجه مسلم في (الجهاد، ١٨، رقم ١٧٦٣)، من حديث: ابنِ عَباسٍ رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه ابن هشام في «السيرة» (١/ ٦٢٨)، وأحمد في «المسند» (٥/ ٤٣٢، رقم ٢٣٦٦١، و٢٣٦٦٢)، والنسائي في «الكبرىٰ» (رقم ١١١٣٧)، من طرق: عَنِ الزُّهْرِيِّ، =

وَيَسْتَفْتِحُ بِهِ فِرْعَوْنُ هَذِهِ الْأُمَّةِ، وَلَكَ أَنْ تَعْجَبَ الْعَجَبَ كُلَّهُ مِنْ هَذَا الَّذِي يَقُولُ هَذَا الرَّجُلُ!!

فَمَنِ الَّذِي قَطَعَ الرَّحِمَ؛ أَهُوَ أَمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ؟!

وَمَنِ الَّذِي هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا وَأَقْوَمُ قِيلًا؛ أَهُوَ أَمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ؟!

وَمَنْ هُوَ الَّذِي هُوَ أَسَدُّ دِعَايَةً، وَالَّذِي هُوَ أَقْوَمُ سَبِيلًا؛ أَهُوَ أَمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ؟!

نَصَرَ اللهُ رَبُّ العَالَمِينَ جُنْدَهُ، وَأَعَزَّ حِزْبَهُ، وَنَصَرَ اللهُ رَبُّ العَالَمِينَ المُسْلِمِينَ فِي بَدْرٍ، فَذَبَحُوهُمْ ذَبْحًا، وَأَسَرُوا مِنْهُمْ سَبْعِينَ، وعَادُوا ظَافِرِينَ مُظَفَّرِينَ، وَعَادَتْ قُرَيْشٌ تَنْدِبُهَا نَوَادِبُهَا، وَتَنُوحُ عَلَيْهَا نَوَائِحُهَا، وَتَبْكِي دَمًا، وَأَعَزَّ اللهُ رَبُّ العَالَمِينَ نَبِيَّهُ ﷺ وَالمُسْلِمِينَ مَعَهُ.

* فَتْحُ مَكَّةَ وَتَحْطِيمُ الْأَصْنَامِ فِي رَمَضَانَ:

وَمِنَ الأَحْدَاثِ الفَاصِلَةِ فِي تَارِيخِ الإِسْلَامِ وَالمُسْلِمِينَ، وَالْخَلْقِ أَجْمَعِينَ: فَتحُ مَكَّةَ.

مَرَّتِ الْأَيَّامُ فِي طَرِيقِهَا، وَفَتَحَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ مَكَّةَ عَلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ وَالْمُسْلِمِينَ، وَكَانَ ذَلِكَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ مِنَ السَّنَةِ الثَّامِنَةِ مِنَ الْهِجْرَةِ، وَدَخَلَ

=

عَنْ عَبدِ اللهِ بنِ ثَعْلَبَةَ بنِ صُعَيْرٍ، قَالَ: «كَانَ الْمُسْتَفْتِحَ يَوْمَ بدْرٍ أَبو جَهْل، وَإِنَّهُ قَالَ حِينَ الْتَقَىٰ الْقَوْمُ: اللهُمَّ أَيُّنَا كَانَ أَقْطَعَ لِلرَّحِمِ، وَآتَىٰ لِمَا لَا نَعْرِفُ فَافْتَحِ الْغَدَ، وَكَانَ ذَلِكَ اسْتِفْتَاحَهُ، فَأَنْزَلَ اللهُ: ﴿إِن تَسْتَفْتِحُوا۟ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ﴾ [الأنفال: ١٩]».

النَّبِيُّ ﷺ مَكَّةَ ظَافِرًا وَمُنْتَصِرًا، وَعَابِدًا للهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ خَاشِعًا وَمُنِيبًا، وَطَافَ بِالْبَيْتِ، وَكَانَ فِي جَوْفِ الْكَعْبَةِ صَنَمٌ لِقُرَيْشٍ مِنْ عَقِيقٍ أَحْمَرَ، وَقَدْ كُسِرَتْ يَدُهُ الْيُمْنَىٰ؛ فَجَعَلُوا مَكَانَهَا يَدًا مِنْ ذَهَبٍ، وَكَانَ كَبِيرَ آلِهَتِهِمْ، وَهُوَ هُبَلُ.

فَأَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ بِالْأَصْنَامِ، فَجُمِعَتْ خَارِجَ الْبَيْتِ بَعْدَ أَنْ طَافَ ﷺ وَمَعَهُ رُمْحٌ قَصِيرٌ، فَكَانَ يَطْعَنُ بِرُمْحِهِ ﷺ فِي أَعْيُنِ الْأَصْنَامِ وَفِي أَوْجُهِهَا؛ فَتَخِرُّ تَحْتَ قَدَمَيْهِ ﷺ، وَكَانَ فِي رَمَضَانَ هَذَا الْحَدَثُ الْعَظِيمُ، وَهُوَ تَحْطِيمُ الْأَصْنَامِ.

حُطِّمَتِ الْأَصْنَامُ فِي رَمَضَانَ، أَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ بِهَا، فَأُخْرِجَتْ خَارِجَ الْبَيْتِ، ثُمَّ أُضْرِمَتْ فِيهَا النِّيرَانُ، وَفِي السَّنَةِ نَفْسِهَا أَرْسَلَ النَّبِيُّ ﷺ مَنْ هَدَمَ مَنَاةَ وَالْعُزَّىٰ وَسُوَاعًا.

فالنَّبِيُّ ﷺ دَخَلَ مَكَّةَ فِي السَّنَةِ الثَّامِنَةِ مِنَ الْهِجْرَةِ فِي رَمَضَانَ فَاتِحًا وَظَافِرًا ﷺ، وَعَلَا صَوْتُ الْأَذَانِ يُعْلِنُ أَنَّ اللهَ أَكْبَرُ، أَنَّ اللهَ جَلَّ وَعَلَا أَكْبَرُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، وَأَكْبَرُ مِنْ كُلِّ أَحَدٍ، وَأَكْبَرُ مِنَ الْأَعْرَافِ وَالتَّقَالِيدِ، وَأَكْبَرُ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، يُعْلِنُهَا بِلَالٌ -رَضِيَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عَنْهُ- فَوْقَ الْكَعْبَةِ الْمُشَرَّفَةِ.

فَتَحَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ مَكَّةَ عَلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ وَالْمُسْلِمِينَ مَعَهُ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ، وَحُطِّمَتِ الْأَصْنَامُ، ثُمَّ أَرْسَلَ النَّبِيُّ ﷺ فِي السَّنَةِ التَّاسِعَةِ مَنْ هَدَمَ اللَّاتَ، وَخَلَتِ الْجَزِيرَةُ مِنْ شِرْكِهَا، وَأَقْفَرَتِ الدِّيَارُ مِنْ أَصْنَامِهَا، وَعُبِدَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ.

وَقَعَ ذَلِكَ كُلُّهُ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ.

* حَفْرُ النَّبِيِّ ﷺ الْخَنْدَقَ فِي رَمَضَانَ:

فَفِي رَمَضَانَ مِنَ السَّنَةِ الْخَامِسَةِ مِنَ الْهِجْرَةِ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ وَالصَّحَابَةُ رضي الله عنهم يَحْفِرُونَ الْخَنْدَقَ؛ اسْتِعَدَادًا لِمَا يَكُونُ مِنْ قُدُومِ قُرَيْشٍ وَأَحْلَافِهَا غَازِيَةً مَدِينَةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَأَمَّا غَزْوَةُ الْخَنْدَقِ نَفْسُهَا؛ فَقَدْ وَقَعَتْ فِي شَوَّالٍ مِنَ السَّنَةِ عَيْنِهَا.

وَأَمَّا مَا كَانَ مِنَ الِاسْتِعْدَادِ بِحَفْرِ الْخَنْدَقِ، وَالرَّسُولُ يَحْمِلُ فِي ذَلِكَ التُّرَابَ عَلَىٰ عَاتِقِهِ بِنَفْسِهِ، وَهُوَ أَشْرَفُ خَلْقِ اللهِ، وَأَحَبُّ الْخَلْقِ إِلَىٰ اللهِ ﷺ؛ حِيَاطَةً لِدِينِهِ، وَنُصْرَةً لِرَبِّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ؛ فَنَصَرَهُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ، وَكَانَ يُرَدِّدُ:

وَاللهِ لَوْلَا أَنْتَ مَا اهْتَدَيْنَا ... وَلَا تَصَدَّقْنَا وَلَا صَلَّيْنَا

فَأَنْزِلَنْ سَكِينَةً عَلَيْنَا ... وَثَبِّتِ الْأَقْدَامَ إِنْ لَاقَيْنَا(١)

وَالنَّبِيُّ ﷺ بَيْنَهُمْ يُحَفِّزُهُمْ إِلَىٰ الْحَقِّ وَعَمَلِ الْخَيْرِ؛ حَتَّىٰ رَدَّ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ كَيْدَ الْمُشْرِكِينَ فِي نُحُورِهِمْ، وَاللهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ؛ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ.

فَفِي شَهْرِ رَمَضَانَ المُبارَكِ وَقَعَتْ أَحْدَاثٌ جِسَامٌ، وَمِنْ أَهَمِّهَا: فَتْحُ الْأَنْدَلُسِ، ذلكَ الْفِرْدَوسُ المَفْقُودُ.

---

(١) أخرجه البخاري في (الجهاد، ٣٤: ٢، ٣، رقم ٢٨٣٦، و٢٨٣٧)، ومسلم في (الجهاد، ٤٤: ١، رقم ١٨٠٣)، من حديث: البَرَاءِ رضي الله عنه.

* فَتْحُ الْأَنْدَلُسِ فِي رَمَضَانَ:

وَفِي السَّنَةِ الْحَادِيَةِ وَالتِّسْعِينَ من هجرة الرسول الأكرم ﷺ: فَتَحَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ الْأَنْدَلُسَ عَلَىٰ الْمُسْلِمِينَ، وَكَانَ طَارِقُ بْنُ زِيَادٍ رَحِمَهُ اللهُ مُرْسَلًا مِنْ قِبَلِ مُوسَىٰ بْنِ نُصَيْرٍ، فَفَتَحَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ فَتْحَهُ.

وَكَانَتْ خُطَّةُ الْمُسْلِمِينَ: أَنْ يَكُونَ الْبَحْرُ الْأَبْيَضُ الْمُتَوَسِّطُ بُحَيْرَةً إِسْلَامِيَّةً، فَذَهَبُوا غَازِينَ إِلَىٰ قُبْرُصَ، ثُمَّ كَانُوا مُرِيدِينَ عَلَىٰ نِيَّةِ الْإِصْعَادِ؛ مِنْ أَجْلِ أَنْ يَكُونُوا ذَاهِبِينَ فِي غَزْبِ أُورُبَّة، ثُمَّ فَلْيَلْقَهُمْ مَنْ يَأْتِي مُشَرِّقًا مِنْ قِبَلِ الْأَنْدَلُسِ بَعْدَ غَزْوِ فَرَنْسَا، وَكَانُوا عَلَىٰ مَشَارِفِ جَنُوبِهَا؛ إِلَّا أَنَّ اللهَ لَمْ يَشَأْ لَهَا الْهِدَايَةَ، فَظَلَّتْ سَادِرَةً فِي كُفْرِهَا، وَفِي عَمَايَتِهَا، وَفِي ضَلَالِهَا وشِرْكِهَا، ولَمْ يَأْذَنْ لَهَا رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بِخَيْرٍ.

فَتَحَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ عَلَىٰ الْمُسْلِمِينَ أَفْرِيقِيَّةَ فِي شَمَالِهَا جَمِيعِهِ؛ حَتَّىٰ جَازُوا الْعُدْوَةَ إِلَىٰ بِلَادِ الْأَنْدَلُسِ، فَفَتَحُوهَا بِكَلِمَةِ التَّوْحِيدِ، كَلِمَةِ «**لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**».

وَمِنَ الْأَحْدَاثِ الْجِسَامِ الَّتِي وَقَعَتْ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ: مَوْقِعَةُ مَرْجِ الصُّفَّرِ، وَمَوْقِعَةُ عَينِ جَالُوتَ.

* مَوْقِعَتَا مَرْجِ الصُّفَّرِ، وَعَيْنِ جَالُوتَ فِي رَمَضَانَ:

فِي شَهْرِ رَمَضَانَ، فِي سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِمِئَةٍ مِنْ هِجْرَةِ الرَّسُولِ ﷺ: كَانَتْ «مَوْقِعَةُ مَرْجِ الصُّفَّر» أَوْ «مَوْقِعَةُ شَقْحَب» الَّتِي كَانَ فِيهَا النَّاصِرُ مُحَمَّدُ بْنُ قَلَاوونَ، وَالْخَلِيفَةُ الْمُسْتَكْفِي بِاللهِ، وَكَانَ مَعَهُمَا شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ -رَحِمَهُ

اللهِ تَعَالَىٰ رَحْمَةً وَاسِعَةً-، فَبَدَّدُوا جُمُوعَ التَّتَارِ، وَمَزَّقُوهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ، وَنَصَرَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ الْمُسْلِمِينَ نَصْرًا عَزِيزًا مُؤَزَّرًا.

وَقَبْلَ ذَلِكَ فَتَحَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ عَلَىٰ الْمُسْلِمِينَ فَتْحًا عَظِيمًا، فِي «عَيْنِ جَالُوتَ» نَصَرَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ الْمُسْلِمِينَ عَلَىٰ التَّتَارِ؛ فَانْحَسَرَتْ مَوْجَةُ الْهَمَجِيَّةِ وَالْفَوْضَىٰ عَلَىٰ صَخْرَةِ الْإِسْلَامِ الْعَظِيمَةِ بِجُنْدِ الشَّامِ وَجُنْدِ مِصْرَ، فَبَدَّدُوهُمْ كُلَّ مُبَدَّدٍ، وَشَتَّتُوهُمْ كُلَّ مُشَتَّتٍ، وَمَزَّقُوهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ، وَمَنْ نَجَا مِنَ الْقَتْلِ أُسِرَ، ثُمَّ كَانَ بَعْدُ عَبْدًا ذَلِيلًا، فَحَسَرَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ تِلْكَ الْمَوْجَةَ، وَكُلُّ ذَلِكَ كَانَ وَاقِعًا فِي رَمَضَانَ تَحْتَ رَايَةِ الْإِسْلَامِ.

لَمْ يُنْصَرِ الْمُسْلِمُونَ قَطُّ إِلَّا تَحْتَ رَايَةِ الْإِسْلَامِ الْعَظِيمِ، وَلَمْ يَكُنِ الْمَعْنَىٰ فِي هَذَا كُلِّهِ: أَنَّهُ إِذَا تَسَلَّطَتْ طَائِفَةٌ مِنَ الْمُفْسِدِينَ... مِنَ الْمُشْرِكِينَ الضَّالِّينَ عَلَىٰ مَقَالِيدِ الْأَمْرِ فِي الْأُمَّةِ؛ أَنْ تَصِيرَ الْأُمَّةُ كُلُّهَا مِنَ الْمُفْسِدِينَ الْمُجْرِمِينَ الضَّالِّينَ، بَلْ كَانَتِ الْأُمَّةُ تُحَافِظُ عَلَىٰ نَقَائِهَا، ثُمَّ يَذْهَبُ هَذَا الْخَبَثُ بَعِيدًا إِذَا مَا عَلَا صَوْتُ الْإِسْلَامِ، وَإِذَا مَا رُفِعَتْ رَايَةُ التَّوْحِيدِ، وَكَذَلِكَ الشَّأْنُ دَائِمًا وَأَبَدًا.

*** حَرْبُ الْعَاشِرِ مِنْ رَمَضَانَ، آخِرُ انْتِصَارَاتِ الْمُسْلِمِينَ:**

حَتَىٰ فِي آخِرِ مَا شَهِدَ الْمُسْلِمُونَ فِي هَذَا العَصْرِ: فِي سَنَةِ ثَلَاثٍ وَتِسْعِين وَثَلَاثِ مِئةٍ وَأَلْف مِنْ هِجْرَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فِي مِثْلِ هَذِهِ الأَيَّامِ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ فِي العَاشِرِ مِنْهُ: (١٠ مِنْ رَمَضَان ١٣٩٣هـ)، وَهُوَ مُوافِقٌ لِلسَّادِسِ مِنَ الشَّهْرِ العَاشِرِ مِنْ سَنَةِ ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ وَتِسْعِ مِئةٍ وَأَلْف مِنَ التَّارِيخِ النَّصْرَانِيِّ

(٦/ ١٠/ ١٩٧٣): لمَّا رُفِعَت رَايَةُ التَّوْحِيدِ، وَعَلَتْ كَلِمَةُ التَّكْبِيرِ؛ نَصَرَ اللهُ رَبُّ العَالمِينَ المُسْلِمِينَ.

وَلَم يُنْصَرُوا إِلَّا بِالإِسْلَامِ العَظِيم، وَلَنْ يُنْصَرَ المُسْلِمُونَ فِي أَيِّ بُقْعَةٍ مِنْ بِقَاعِ الأَرْضِ، وَلا فِي أَيِّ زَمَانٍ مِنَ الأَزْمِنَةِ، وَلنْ تَكُونَ لَهُم شَوْكَةٌ، وَلَنْ تُسمَعَ لهُم كَلِمَةٌ، وَلَنْ تُرْفَعَ لَهُم رَايَةٌ إِلَّا بِالإِسْلَامِ العَظِيمِ، وَبِالتَّوْحِيدِ الكَرِيمِ.

فِي مِثْلِ هَذِهِ الأَيَّامِ مِنْ سَنَةِ ثَلَاثٍ وَتِسْعِينَ وَثَلَاثِ مِئةٍ وَأَلْف مِنْ هِجْرَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ «فِي ١٠ مِنْ رَمَضَان ١٣٩٣هـ»: رَدَّ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عَلَىٰ المُسْلِمِينَ عَامَّةً، وَعَلَىٰ المِصْرِيِّينَ وَجُنْدِ الشَّامِ خَاصَّةً بَعْضَ الكَرَامَةِ السَّلِيبَةِ، وَأَعَزَّ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ دِينَهُ، وَنَصَرَ جُنْدَهُ لمَّا فَاءَ النَّاسُ إِلَىٰ الحَقِّ وَرَجَعُوا إِلَيْهِ.

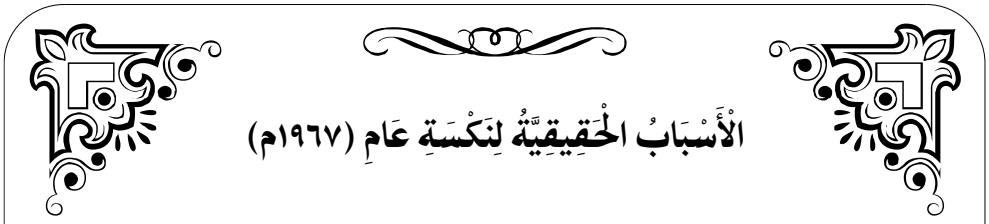

الْأَسْبَابُ الْحَقِيقِيَّةُ لِنَكْسَةِ عَامِ (١٩٦٧م)

لَقَدْ كَانَ الَّذِينَ عَلَىٰ الأَمْرِ قَبْلُ قَدْ عَاثُوا فِي الأَرْضِ فَسَادًا، وَتَحَوَّلَت سِهَامُهُمْ إِلَىٰ نُحُورِ أَبْنَاءِ شَعْبِهِم، فَسَامُوهُم الخَسْفَ، وَأَذَلُّوهُم، وَشَرَّدُوهُم كُلَّ مُشَرَّدٍ، وَأَنْزَلُوا بِهِم سُوءَ العَذَابِ، أَبَىٰ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ إِلَّا أَنْ يُرِيَهُم بَعْضَ الَّذِي وَعَدَهُم وَأَوْعَدَهُم بِهِ فِي هَذِهِ الحَيَاة.

أَبَىٰ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ إِلَّا أَنْ يَشْرَبُوا كَأْسًا مُتْرَعَةً مِنَ الذُّلِّ فِي الحَيَاةِ، وَاللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

وَكَانُوا لِسُوءِ التَّدْبِيرِ قَدْ صَاحُوا بِكُلِّ فَجٍّ أَنَّهُم سَوْفَ يُلْقُونَ اليَهُودَ فِي البَحْرِ، وَأَنَّهَا شِرْذِمَةٌ قَلِيلَةٌ مُسْتَضْعَفَةٌ لَا يُؤْبَهُ لَهَا، وَأَنَّهَا لَا تَثْبُتُ عَلَىٰ النَّفْخِ لَا عَلَىٰ الجِلَادِ وَالحَرْبِ.

ثُمَّ دُفِعَ بِالجَيْشِ المِصْرِيِّ وَجُنْدِهِ مِنْ خَيْرِ أَجْنَادِ الأَرْضِ؛ مَا هُزِمُوا مِنْ خَوَرٍ وَلَا ضَعْفٍ، وَإِنَّمَا يُؤْتَونَ بِالغَدْرِ وَيُؤْخَذُونَ بِالخِيَانَةِ، كَانُوا قَدْ دَفَعُوا بِالْجَيْشِ البَاسِلِ إِلَىٰ الصَّحَرَاءِ المَكْشُوفَةِ، كَأَنَّمَا يُرْهِبُونَ عَدُوَّهُم، وَكَأَنَّمَا يَسْتَدِرُّونَ العَطْفَ مِنْ أُمَمِ الأَرْضِ؛ مَخَافَةَ أَنْ يَحِيقَ بِالشِّرْذِمَةِ الطَّاغِيَةِ مِنْ يَهُودٍ سُوءُ

العَذَابِ، هَكَذَا قَدَّرُوا؛ لِأَنَّ الغِوَايَةَ كَانَتْ سَادِرَةً، وَلِأَنَّ تَحْوِيلَ المُجْتَمَعِ مِنْ دِينِهِ، وَمِنْ هُوِيَّتِهِ الْأَصِيلَةِ كَانَ مُرَتَّبًا وَمُنَظَّمًا -أَلَا سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ-.

عِنْدَمَا تَحِيدُ الأُمَّةُ عَنْ مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ، عِنْدَمَا يَصِيرُ المُجْتَمَعُ مُسْتَنْقَعًا كَبِيرًا تَرْتَعُ فِيهِ نَوَازِعُ الرَّذِيلَةِ، وَتَنْطَلِقُ فِيهِ الشَّهَوَاتُ مِنْ عُقُلِهَا، وَلَا تَجِدُ فِيهِ مَكَانًا تَحْمِي فِيهِ سَمْعَك وَبَصَرَك، وَلَا تَحْمِي فِيهِ مِنَ الفِتَنِ نَفْسَكَ؛ حَتَّىٰ المَسَاجِدَ أَفْسَدُوهَا، وَعَدَوْا عَلَيْهَا فَخَرَّبُوهَا، وَجَعَلُوا فِيهَا مِنْ أَهْلِ الجَهْلِ مَنْ جَهَّلُوا، وَمِنْ أَهْلِ الحِزْبِيَّةِ مَنْ أَفْسَدُوا عَلَىٰ النَّاسِ دِينَهُم، فَصَارَتْ كَمَسَاجِدِ ضِرَارٍ، لَا يَجِدُ المَرْءُ فِيهَا بُغْيَتَهُ، وَلَا يَلْقَىٰ فِيهَا سَكِينَتَهُ، وَلَا تَسْتَقِرُّ فِيهَا رُوحُهُ عَلَىٰ قَرَارٍ!!

وَقَعَ مَا وَقَعَ؛ مِنْ تَغْيِيبٍ لِدِينِ الإِسْلَامِ العَظِيمِ، ثُمَّ أَرَادَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بِالنَّكْبَةِ أَنْ يَخْرُجَ النَّاسُ مِنْ نِدَاءِ بَاطِلٍ بِقَوْلِ قَائِلِهِم: «أَمْجَاد! يَا عَرَب! أَمْجَاد»!! إِلَىٰ قَوْلِ: «اللهُ أَكْبَرُ»؛ فبِهَا نُنْصَرُ إِذَا مَا حَقَّقْنَاهَا فِي النُّفُوسِ وَالضَّمَائِرِ وَالقُلُوبِ، وَكَانَتْ وَاقِعًا يُعَاشُ فِي الحَيَاةِ.

❀❀❀

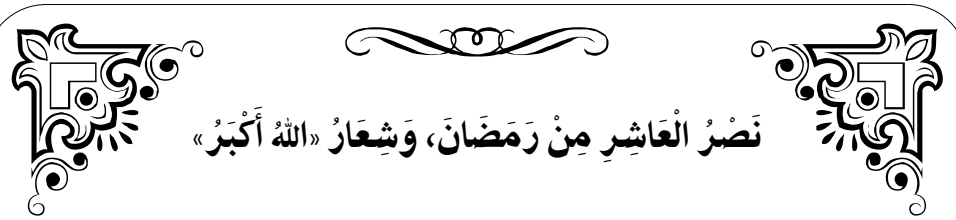

نَصْرُ الْعَاشِرِ مِنْ رَمَضَانَ، وَشِعَارُ «اللهُ أَكْبَرُ»

أَبَىٰ اللهُ إِلَّا أَنْ يَحْفَظَ عَلَىٰ أَرْضِ الكِنَانَةِ دِينَهَا، وَعَلَىٰ أَبْنَائِهِم إِسْلَامَهُم، وَأَنْ يُعِزَّهُم اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بِدِينِ الإِسْلَامِ العَظِيمِ، وَتَحَطَّمَتِ الأُسْطُورَةُ أُسْطُورَةُ الشَّعْب الَّذِي يَدُهُ طُولَىٰ، فَمَهْمَا أَرَادَ أَنْ يَصِلَ بِيَدِهِ إِلَيْهِ وَصَلَ.

أَرَادَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أَنْ يُحَطِّمَ أُسْطُورَةَ الجَيْشِ الَّذِي لَا يُقْهَرُ، فَسِيمَ العَذَابَ، وَسَارَ كَالدَّجَاجِ لَا يَجِدُ مَأْوَىٰ، وَقَدْ عَدَتْ عَلَيْهِ السِّبَاعُ، وَنَصَرَ اللهُ رَبُّ العَالمِينَ المِصْرِيِّينَ وَجُنْدَ الشَّام نَصْرًا مُؤَزَّرًا، وَحَاقَ بِيَهُودٍ مَا كَانُوا يُوْعَدُونَ، وَلهَا أَخَوَاتٌ إِذَا عَادَ المُسْلِمُونَ إِلَىٰ دِينِ الحَقِّ، وَفَاءُوا إِلَىٰ طَرِيقِ الرُّشْدِ، وَرَفَعُوا رَايَةَ التَّوْحِيدِ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُحَمَّدٌ رَسُول اللهِ».

وَكَذَبَ مَنْ قَالَ: «إِنَّ يَهُودَ لَمْ تَكُنْ تَخْشَىٰ المُسْلِمِينَ بَعْدَ النَّكْبَةِ»، فَهَذَا وَهْمُ وَاهِمٍ وَخَيَالُ عَابِث، إِنَّمَا كَانُوا مِنْهُم عَلَىٰ الرَّهْبَةِ، وَالدَّلِيلُ: مَا كَانَ، فَهَذَا مَانِعٌ مَائِيٌّ عَظِيمٌ؛ سُلِّطَتْ عَلَيْهِ أَنَابِيبُ النَّابَالْم، حَتَّىٰ إِذَا مَا بَدَأَ المِصْرِيُّونَ فِي العُبُورِ لِذَلِكَ المَانِعِ المَائِيِّ؛ اشْتَعَلَتِ القَنَاةُ نَارًا، فَأَعَدُّوا ذَلِكَ، ثُمَّ أَعَدُّوا السَّدَّ التُّرابِيَّ، وَاجْتِيَازُهُ لَا يَكُونُ إِلَّا بِشِبْهِ مُعْجِزَةٍ تَأْتِي مِنْ قِبَلِ مَنْ هُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، إِلَىٰ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ مِنْ «خَطِّ بَارْلِيف».

وَوَضَعُوا العَسْكَرِيَّةَ عَلَىٰ المَحَكِّ؛ لِيَنْظُرَ العَالَمُ كُلُّهُ إِلَىٰ هَذَا الجُنْدِ المُسْلِمِ مِنْ أَرْضِ الكِنَانَةِ، وَقَدْ صَدَّ قَبْلُ أَمْوَاجَ الهَمَجِيَّةِ التَّتَرِيَّةِ، وَأَمْوَاجَ الفَوْضَىٰ الصَّلِيبِيَّةِ، وَكُلَّ غَازٍ أَرَادَ أَنْ يَعْبُرَ إِلَىٰ دِيَارِ الإِسْلَامِ؛ تَحَطَّمَ عَلَىٰ صَخْرَةِ هَذِهِ الأُمَّةِ المُبَارَكَةِ، وَبِسَواعِدِ أَبْنَائِهَا، تُحَرِّكُهَا عَزَمَاتُ إِيمَانِهَا بِقُلُوبِهَا، بِأَنَّهُ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»، وَأَنَّنَا إِنَّمَا نَدُورُ عَلَىٰ أَحَدِ أَمْرَيْنِ، وَهُمَا حُسْنَيَانِ مَعًا: إِمَّا النَّصْرُ وَإِمَّا الشَّهَادَةُ، فَجَازُوا تِلْكَ المَوَانِعَ كُلَّهَا، وَلَمْ يَقِفْ فِي وَجْهِهِم شَيْءٌ، وَلَا صَدَّهُمْ عَنْ بُغْيَتِهِمْ.

فِي مِثْلِ هَذِهِ الأَيَّام نَصَرَ اللهُ رَبُّ العَالَمِينَ جُنْدَهُ، وَصَارَ إِخْوَانُ القِرَدَةِ وَالخَنَازِيرِ كَعَجُوزٍ تَلْطِمُ مُوَلْوِلَةً، تَسْتَجْدِي أُمَمَ الكُفْرِ العَتَادَ وَالسِّلَاحَ وَالمَئُونَةَ، وَهَؤُلَاءِ يَرْفَعُونَ شِعَارًا وَاحِدًا: «**اللهُ أَكْبَرُ**».

اللهُ أَكْبَرُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ.

اللهُ أَكْبَرُ مِنْ مَوَانعِ المَاءِ، وَمِنْ مَوَانِعِ التُّرَابِ وَسَوَاتِرِهَا.

اللهُ أَكْبَرُ مِنْ كُلِّ خطِّ دِفَاعٍ.

اللهُ أَكْبَرُ مِنَ الطَّائِراتِ وَالدَّبَّابَاتِ، وَالمَدَافِعِ وَالصَّوَارِيخِ.

اللهُ أَكْبَرُ مِنْ كُلِّ عَادٍ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ.

اللهُ أَكْبَرُ مِنْ أُمَمِ الكُفْرِ كُلِّهَا.

فَكَانَ النَّصْرُ، وَهُوَ دَرْسٌ مَطْرُوحٌ كَانَ فِي مِثْلِ هَذِهِ الأَيَّامِ، وَمَا زَالَ دَرْسًا مَطْرُوحًا إِلَىٰ اليَوْمَ، وَسَيَظَلَّ، فَهَلْ مِنْ مُسْتَفِيدٍ؟!

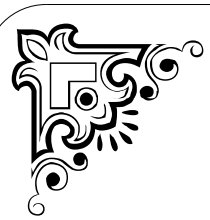

أَسْبَابُ نَصْرِ الْعَاشِرِ مِنْ رَمَضَانَ

كَانَتْ مَوْقِعَةً مِنَ المَوَاقِعِ الظَّافِرَةِ، تُعِيدُ إِلَىٰ العَالَمِ نَسَائِمَ المَاضِي البَعِيدِ، نَسَائِمَ يَوْمِ بَدْرٍ، نَسَائِمَ يَومِ عَيْنِ جَالُوتَ، تُعِيدُ إِلَىٰ الأُمَّةِ نَسَائِمَ تُرَطِّبُ القُلُوبَ، وَتَحْنُو عَلَىٰ الأَفْئِدَةِ؛ لِيَعْلَمَ النَّاسُ أَنَّ اللهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وَأَنَّهُ لَا يُعْجِزُهُ أَحَدٌ وَلَا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ، وَلَيُغْلَبَنَّ مُغَالِبُ الغَلَّابِ.

نَصَرَ اللهُ رَبُّ العَالمِينَ جُنْدَهُ، وَكَانَتِ الأُمَّةُ -وَكُنَّا حَاضِرِيهَا- عَلَىٰ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، وَتَعْجَبُ: كَيْفَ زَالَتِ الأَحْقَادُ فِي لَحْظَةٍ وَاحِدَةٍ؟!!

كَيْفَ انْمَحَقَتِ الأَحْسَادُ فِي ثَانِيَةٍ أَوْ أَقَلَّ مِنْهَا؟!!

كَيْفَ صَارَ النَّاسُ قَلْبًا وَاحِدًا نَابِضًا يَضْرَعُ إِلَىٰ اللهِ بِأَكُفٍّ ضَرَاعَةٍ نَقِيَّةٍ تَقِيَّةٍ، لَا سَارِقَةٍ، وَلَا غَاصِبَةٍ، وَلَا مُرْتَشِيَةٍ، وَلَا مُلَوَّثَةٍ بِدِمَاءِ تَعْذِيبِ البَشَرِ، وَإِنَّمَا هِيَ خَاضِعَةٌ للهِ نَقِيَّةٌ، وَهِيَ ذَلِيلَةٌ للهِ تَقِيَّةٌ؟!!

كَيْفَ تَحَوَّلَ المُجْتَمَعُ كُلُّه فِي لَحْظَةٍ وَاحِدَةٍ إِلَىٰ قَلْبٍ تَقِيٍّ نَابِضٍ بِالصِّدْقِ، وَرُوحٍ مُوَحِّدَةٍ نَاطِقَةٍ بِالحَقِّ؟!!

كَيْفَ تَكَاتَفَ النَّاسُ؟!!

كَيْفَ تَآزَرَ النَّاسُ؟!!

كَيْفَ تَعَاوَنُوا وَتَعَاضَدُوا؟!!

كَيْفَ فَزِعُوا جَمِيعًا إِلَىٰ اللهِ؛ لِيَنْصُرَ جُنْدَهُ؟!

وَكَانَ الجُنْدُ بَيْنَ النَّكْبَةِ وَالنَّصْرِ قَدْ رُبُّوا عَلَىٰ مَعْرِفَةِ الحَقِّ، وَسَارَت فِيهِم دُعَاةٌ يَدْعُونَهُمْ إِلَىٰ دِينِ الهُدَىٰ وَإِلَىٰ دِينِ الحَقِّ الَّذِي جَاءَ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَعَلَّمُوهُم مَعَانِيَ الجِهَادِ، وَعَرَفُوا مَعْنَىٰ الشَّهَادَةِ وَحَلَاوَةَ الاسْتِشْهَاد، وَلَمْ يَكُونُوا مِمَّن يُقَاتِلُ عَنْ أَرْضٍ بِلَا هُوِيَّةٍ، وَإِنَّمَا هِيَ أَرْضٌ إِسْلَامِيَّةٌ، إِذَا مَاتَ مُدَافِعٌ عَنْهَا فَقَدْ مَاتَ شَهِيدًا، فَهِيَ أَرْضُ الإِسْلَامِ.

هِيَ هَذِهِ الكِنَانَةُ... كِنَانَةُ اللهِ فِي أَرْضِهِ.

تِلْكَ الصَّخْرَةُ الَّتِي تَتَحَطَّمُ عَلَيْهَا أَمْوَاجُ الغُزَاةِ بِفَضْلِ اللهِ.

وَهُمْ مِنْ أَرَقِّ النَّاسِ قُلُوبًا، ومِنْ أَخْشَعِهِم نُفُوسًا، وَمِنْ أَتْقَاهُمْ أَفْئِدَةً إِذَا عَرَفُوا الحَقَّ وَلَزِمُوهُ، وَقَدْ وَصَّىٰ بِهِم رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ خَاصًّا بِقُطْرٍ وَلَا شَعْبٍ، وَإِنَّمَا هُوَ لِعُمومِ الأُمَّةِ بِجَمِيعِ أَجْنَاسِهَا، وَبِكُلِّ النَّاطِقِينَ بِلُغَتِهِمْ يَشْهَدُونَ أَنَّهُ «**لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ.. مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ**»، وَكَانَ نَصْرًا عَزِيزًا.

هُوَ دَرْسٌ يُسْتَلْهَمُ.

وَحَادَ مَنْ حَادَ بَعْدُ؛ حَتَّىٰ حُرِقَ الحَرَمُ الإِبْرَاهِيمِيُّ، وَاعْتُدِيَ عَلَىٰ المُصَلِّينَ فِيهِ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ، وَإِنَّا للهِ وَإِنَّا إِلَيهِ رَاجِعُونَ!!

فَإِنْ شِئْتَ أَنْ تَجْعَلَ سِجِلَّيْنِ؛ وَاحِدًا لِلانْتِصَارَاتِ فِي رَمَضَانَ، وَآخَرَ لِلانْكِسَاراتِ فِي رَمَضَانَ؛ فَاصْنَعْ؛ **وَلَكِنْ مَا هُوَ العَامِلُ المُشْتَرَكُ بَيْنَ هَذَيْنِ الأَمْرَيْنِ؟**

هُوَ: إِذَا تَمَسَّكْتُمْ بِدِينِ اللهِ نُصِرْتُمْ، وَإِذَا خَفَّتْ قَبْضَتُكُمْ عَلَىٰ دِينِ رَبِّكُم كُسِرْتُمْ وَهُزِمْتُم.

وَلَنْ يَعُودَ إِلَيْكُم مَجْدُكُم وَلَنْ يَحْتَرِمَكُم العَالَمُ إلا بِتَمَسُّكِكُمْ بِدِينِكُمْ.

وَاحْتِرَامُ العَالمِ لَكُم مَطْلُوبٌ؛ لِأَنَّهُم إِنْ لَمْ يَحْتَرِمُوكُمْ؛ فَلَنْ يَسْمَعُوا دَعْوَتَكُم، وَأَنْتُم أُمَّةٌ دَاعِيَةٌ إِلَىٰ التَّوْحِيدِ، إِلَىٰ الإِسْلَامِ العَظِيمِ، لَيْسَ لَكُم قِيمَةٌ إِلَّا بِهِ، فَقِيمَتُكُم بِإِسْلَامِكُم.

قِيمَتُكُم بِدِينِكُم!

قِيمَتُكُم بِتَوْحِيدِكُم!

فَإِذَا نَظَرْتَ فِي السِّجِلَّيْنِ مَعًا؛ وَجَدْتَ العَامِلَ المُشْتَرَكَ.

وَلَمْ يَكُنْ فِي الأَحْدَاثِ الَّتِي مَرَّتْ إِلَّا قَلِيلًا إِلَّا المَعْنَىٰ القَائِم؛ وَهُوَ أَنَّهُ لَيْسَ مَعْنَىٰ أَنْ تَكُونَ طُهْمَةٌ فَاجِرَةٌ... وَأَنْ تَكُونَ جَمَاعَةٌ نَاكِرَةٌ... وَأَنْ تَكُونَ عِصَابَةٌ مُفْسِدَةٌ قَدْ تَحَكَّمَتْ فِي شَيْءٍ؛ لَيْسَ مَعْنَىٰ ذَلِكَ أَنْ تَصِيرَ الأُمَّةُ كُلُّهَا فَاجِرَةً، وَأَنْ تَصِيرَ الأُمَّةُ كُلُّهَا فَاسِدَةً مُفْسِدَةً، وَإِنَّمَا تُحَافِظُ الأُمَّةُ عَلَىٰ نَقَائِهَا؛ وَإِنْ فَسَدَ مَنْ فَسَدَ، وَإِنَّمَا يُفْرَزُ مِنَ الأُمَّةِ بَعْدُ مَنْ يُعْلِي اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بِهِ الرَّايَةَ، وَيُثَبِّتُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ مَنْ شَاءَ عَلَىٰ الحَقِّ بِالحَقِّ، وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ(*).

❀❀❀

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ: «حَدَثَ فِي رَمَضَان - الجُمُعَة ١٠ مِن رَمَضَان ١٤٣١هـ، المُوَافِق ٢٠-٨-٢٠١٠م.

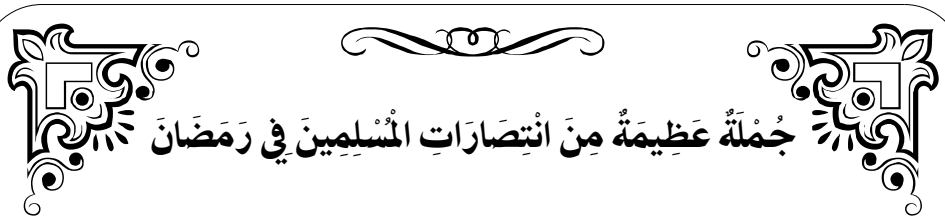

جُمْلَةٌ عَظِيمَةٌ مِنَ انْتِصَارَاتِ الْمُسْلِمِينَ فِي رَمَضَانَ

عِبَادَ اللهِ! فِي رَمَضَانَ عَلَىٰ مَدَارِ تَارِيخِ الْإِسْلَامِ؛ مَنَّ اللهُ تَعَالَىٰ عَلَىٰ الْمُسْلِمِينَ -خَلَفًا وَسَلَفًا- بِانْتِصَارَاتٍ عَظِيمَةٍ، وَفُتُوحَاتٍ جَلِيلَةٍ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ، وَمِنْ ذَلِكَ:

* **انْتِصَارَاتُ «بَدْرٍ الْكُبْرَىٰ»**: فِي السَّابِعِ عَشَرَ مِنْ رَمَضَانَ لِلسَّنَةِ الثَّانِيَةِ مِنَ الْهِجْرَةِ.

* وَ**«فَتْحُ مَكَّةَ»**: وَقَعَ فِي الْعِشْرِينَ مِنْ رَمَضَانَ سَنَةَ ثَمَانٍ مِنَ الْهِجْرَةِ.

* وَفِي سَنَةَ ثَمَانٍ فِي الْخَامِسِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ رَمَضَانَ -عَلَىٰ الْأَرْجَحِ-: هُدِمَ أَكْبَرُ صَنَمٍ كَانَ يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَهُوَ الْعُزَّىٰ.

* «**غَزْوَةُ تَبُوكٍ**» **ضِدَّ الرُّومِ**: وَقَعَتْ فِي رَمَضَانَ لِلسَّنَةِ التَّاسِعَةِ مِنَ الْهِجْرَةِ.

* **انْتِصَارُ «الْبُوَيْبِ» ضِدَّ الْفُرْسِ**: فِي رَمَضَانَ لِلسَّنَةِ الثَّالِثَةِ عَشْرَةَ مِنَ الْهِجْرَةِ.

* «**الِاسْتِيلَاءُ عَلَىٰ جَزِيرَةِ رُودس**»: فِي رَمَضَانَ لِلسَّنَةِ الثَّالِثَةِ وَالْخَمْسِينَ مِنَ الْهِجْرَةِ.

* «**انْتِصَارَاتُ طَارِقِ بْنِ زِيَادٍ**»: فِي رَمَضَانَ لِلسَّنَةِ الثَّانِيَةِ وَالتِّسْعِينَ مِنَ الْهِجْرَةِ.

* «**وَقْعَةُ عَمُّورِيَّةَ**»: سَنَةَ ثَلَاثٍ وَعِشْرِينَ وَمِئَتَيْنِ لِلْهِجْرَةِ، فَتَحَهَا الْمُعْتَصِمُ، وَقَدْ عَزَّتْ عَلَىٰ الْفَاتِحِينَ مِنْ عَهْدِ الْإِسْكَنْدَرِ الْمَقْدُونِيِّ إِلَىٰ عَهْدِ الْمُعْتَصِمِ.

* «**انْتِصَارُ صَلَاحِ الدِّينِ عَلَىٰ بَعْضِ الصَّلِيبِيِّينَ**»: فِي رَمَضَانَ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَثَمَانِينَ وَخَمْسِمِئَةٍ مِنَ الْهِجْرَةِ.

* «**انْتِصَارُ الْمِصْرِيِّينَ عَلَىٰ الْمَغُولِ بِقِيَادَةِ قُطُزَ فِي عَيْنِ جَالُوتٍ**»: سَنَةَ ثَمَانٍ وَخَمْسِينَ وَسِتِّمِئَةٍ مِنَ الْهِجْرَةِ.

* «**انْتِصَارُ الْمِصْرِيِّينَ بِقِيَادَةِ بِيبَرْس فِي أَنْطَاكِيَة**»: سَنَةَ سِتٍّ وَسِتِّينَ وَسِتِّمِئَةٍ مِنَ الْهِجْرَةِ.

* «**انْتِصَارُ الْمِصْرِيِّينَ عَلَىٰ الْيَهُودِ**»: فِي الْعَاشِرِ مِنْ رَمَضَانَ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَتِسْعِينَ وَثَلَاثِمِئَةٍ وَأَلْفٍ مِنْ هِجْرَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

النَّصْرُ الَّذِي دَعَا أَحَدَ كُتَّابِ الْيَهُودِ -وَهُوَ (آمْنُون كَابْلِيُوك) فِي كِتَابِهِ: «انْتِهَاءِ الْخُرَافَةِ»- دَعَاهُ إِلَىٰ أَنْ يَقُولَ: «لَمْ يَتَصَوَّرْ أَحَدٌ فِي إِسْرَائِيلَ أَنَّ الْمِصْرِيِّينَ يُمْكِنُهُمُ الْقِيَامُ بِمِثْلِ هَذِهِ الْعَمَلِيَّةِ الْعَسْكَرِيَّةِ، وَلَا يَسَعُنَا الْآنَ سِوَىٰ أَنْ نُصَابَ بِالذُّهُولِ وَالْوُجُومِ؛ لِأَنَّنَا جَمِيعًا وَقَعْنَا فِي هَذَا الْوَهْمِ الَّذِي كَانَ بَعِيدًا كُلَّ الْبُعْدِ عَنِ الْوَاقِعِ».

بِالْعَوْدَةِ إِلَىٰ اللهِ، وَالْتِزَامِ أَوَامِرِهِ، وَاجْتِنَابِ نَوَاهِيهِ، وَالْقَصِّ عَلَىٰ أَثَرِ رَسُولِهِ ﷺ، وَتَطْهِيرِ الْقُلُوبِ، وَتَحْسِينِ الْأَخْلَاقِ، وَالْحَضِّ عَلَىٰ فِعْلِ الطَّاعَاتِ وَالْمَأْمُورَاتِ، وَالْبُعْدِ عَنِ الْمَحْذُورَاتِ وَالْمُنْكَرَاتِ وَالْمَنْهِيَّاتِ؛ بِهَذَا كُلِّهِ يُؤْتِي اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ النَّصْرَ.

لَا يُؤْتِي اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ النَّصْرَ مَنْ يُشْرِكُ بِهِ، وَلَا مَنْ يَغُوصُ فِي الْوَحْلِ -وَحْلِ الْبِدَعِ- إِلَىٰ مَفَارِقِ رَأْسِهِ، لَا إِلَىٰ أُذُنَيْهِ، وَإِنَّمَا بِطَاعَةِ اللهِ يُنَالُ مَا عِنْدَهُ.

أَسْأَلُ اللهَ أَنْ يَعْفُوَ عَنَّا أَجْمَعِينَ.(*).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ: «أَشْتَاتٌ مُجْتَمِعَاتٌ» - الْجُمُعَة ١٤ مِنْ رَمَضَانَ ١٤٣٨هـ/ ٩-٦-٢٠١٧م.

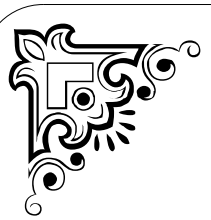

شُرُوطُ النَّصْرِ وَالتَّمْكِينِ

فِي دَرْسٍ مِنْ دُرُوسِ سُورَةِ الْأَنْفَالِ، وَفِي سِيَاقِ الْحَدِيثِ عَنْ غَزْوَةِ بَدْرٍ ذَكَرَ رَبُّنَا -جَلَّتْ قُدْرَتُهُ- شُرُوطَ النَّصْرِ عَلَىٰ الْأَعْدَاءِ، وَأَجْمَلَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ تِلْكَ الشُّرُوطَ فِي سِتَّةِ شُرُوطٍ ذَكَرَهَا فِي ثَلَاثِ آيَاتٍ.

قَالَ رَبُّنَا -جَلَّتْ قُدْرَتُهُ وَتَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ-: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْۖ وَٱصْبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٤٧﴾﴾ [الأنفال: ٤٥-٤٧].

فِي هَذِهِ الْآيَاتِ الثَّلَاثِ ذَكَرَ رَبُّنَا -جَلَّتْ قُدْرَتُهُ- تَعْلِيمًا لِلْأُمَّةِ الْمُسْلِمَةِ، وَإِرْشَادًا وَرَسْمًا لِلْمِنْهَاجِ الصَّحِيحِ؛ ذَكَرَ رَبُّنَا -جَلَّتْ قُدْرَتُهُ- سِتَّةَ شُرُوطٍ لِلنَّصْرِ، أَقَامَهَا عَلَىٰ أَسَاسٍ مِنَ الْإِيمَانِ؛ فَقَدْ وَصَفَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ الْقَوْمَ حِينَ النِّدَاءِ بِصِفَةِ الْإِيمَانِ، فَاسْتَفْتَحَ الْقَوْلَ بِتِلْكَ الصِّفَةِ الشَّرِيفَةِ نِدَاءً: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾..

﴿إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ﴾: إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً كَافِرَةً، فَحَذَفَ الْوَصْفَ اسْتِغْنَاءً؛ لِدَلَالَةِ السِّيَاقِ عَلَيْهِ، وَدَلَالَةِ الْحَالِ.

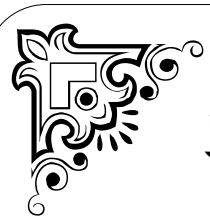

مِنْ شُرُوطِ النَّصْرِ: الثَّبَاتُ عِنْدَ لِقَاءِ الْعَدُوِّ

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً﴾ [الأنفال: ٤٥].. وَعَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي أَوْفَىٰ رضي الله عنه -كَمَا فِي «الصَّحِيحَيْنِ»- يَقُولُ: «لَقِيَ النَّبِيُّ ﷺ فِي يَوْمٍ مِنْ أَيَّامِهِ عَدُوًّا، فَانْتَظَرَ حَتَّىٰ مَالَتِ الشَّمْسُ، ثُمَّ خَرَجَ خَطِيبًا فَقَالَ: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ! لَا تَتَمَنَّوْا لِقَاءَ الْعَدُوِّ، وَسَلُوا اللهَ الْعَافِيَةَ، فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاصْبِرُوا، وَاعْلَمُوا أَنَّ الْجَنَّةَ تَحْتَ ظِلَالِ السُّيُوفِ**».

ثُمَّ قَالَ ﷺ: «**اللَّهُمَّ مُنْزِلَ الْكِتَابِ، وَمُجْرِيَ السَّحَابِ، وَهَازِمَ الْأَحْزَابِ؛ اهْزِمْهُمْ وَانْصُرْنَا عَلَيْهِمْ**»(١).

لَمْ يَعْجَلْ رَسُولُ اللهِ ﷺ كَمَا يَعْجَلُ الْمُتَعَجِّلُونَ، وَلَمْ يَتَحَمَّسْ كَمَا يَتَحَمَّسُ الْمُتَحَمِّسُونَ، وَإِنَّمَا يَقْدُرُ لِلْأَمْرِ قَدْرَهُ، وَيُعِدُّ لِلْخَطْبِ عُدَّتَهُ، وَيَجْعَلُ الْمَسْؤُولِيَّةَ فِي مَحَلِّهَا، فَانْتَظَرَ ﷺ حَتَّىٰ مَالَتِ الشَّمْسُ، ثُمَّ خَرَجَ عَلَىٰ أَصْحَابِهِ ﷺ مُعَلِّمًا: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ! لَا تَتَمَنَّوْا لِقَاءَ الْعَدُوِّ**»؛ لِأَنَّ التَّثْبِيتَ مِنْ عِنْدِ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَحْدَهُ، وَلَعَلَّ الرَّجُلَ يَنْدَفِعُ فِي أَمْرٍ لَا يَقْدُرُهُ قَدْرَهُ، وَلَا يُعِدُّ لَهُ عُدَّتَهُ، فَإِذَا مَا جَدَّ

(١) أخرجه البخاري (٢٩٦٥).

الْجِدُّ انْكَشَفَ، وَإِذَا هُوَ مُوَلٍّ ظَهْرَهُ لِعَدُوِّهِ، وَإِذَا هُوَ وَاقِعٌ فِي أَكْبَرِ الْكَبَائِرِ -عِيَاذًا بِاللهِ وَلِيَاذًا بِجَنَابِهِ الشَّرِيفِ-.

«يَا أَيُّهَا النَّاسُ! لَا تَتَمَنَّوْا لِقَاءَ الْعَدُوِّ، وَسَلُوا اللهَ الْعَافِيَةَ، فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاصْبِرُوا، وَاعْلَمُوا أَنَّ الْجَنَّةَ تَحْتَ ظِلَالِ السُّيُوفِ».

وَهِيَ صُورَةٌ مِنْ صُوَرِ الْبَيَانِ النَّبَوِيِّ الشَّرِيفِ، يَجْعَلُ النَّبِيُّ ﷺ الْجَنَّةَ بِكُلِّ مَا فِيهَا مِنْ مَتَاعٍ وَنَعِيمٍ تَحْتَ ظِلِّ سَيْفٍ مُشْهَرٍ فِي سَبِيلِ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَلَعَلَّهُ يَكُونُ مُتَقَطِّرًا مِنْهُ دِمَاءٌ نَازِفَاتٌ، وَلَعَلَّهُ يَعْلَقُ بِهِ مِنَ الْأَحْشَاءِ عَالِقَاتٌ؛ وَلَكِنْ كَذَلِكَ يَصِفُ النَّبِيُّ الْأَمِينُ ﷺ الْأَمْرَ، وَيُبَيِّنُ الْمَوْقِفَ الَّذِي فِيهِ الْقَوْمُ: «**وَاعْلَمُوا أَنَّ الْجَنَّةَ تَحْتَ ظِلَالِ السُّيُوفِ**»، فَالْتَمِسْ تَحْتَ ظِلِّ السَّيْفِ جَنَّةً عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ، كَذَا يَقُولُ الرَّسُولُ ﷺ.

«فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاصْبِرُوا، وَاعْلَمُوا أَنَّ الْجَنَّةَ تَحْتَ ظِلَالِ السُّيُوفِ».

ثُمَّ أَقْبَلَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَىٰ رَبِّهِ ضَارِعًا مُتَضَرِّعًا مُنَاجِيًا مُتَبَتِّلًا، دَاعِيًا رَبَّهُ جَلَّوَعَلَا بِهَذَا النِّدَاءِ الشَّفِيفِ وَالدُّعَاءِ الشَّرِيفِ: «**اللَّهُمَّ**»: وَ(الْمِيمُ الْمُشَدَّدَةُ) فِي قَوْلِ الْعَبْدِ: (اللَّهُمَّ) هِيَ مِيمُ عِوَضٍ عَنْ جَمِيعِ أَسْمَاءِ اللهِ الْحُسْنَىٰ؛ فَكَأَنَّ الْعَبْدَ عِنْدَمَا يَقُولُ: (اللَّهُمَّ) كَأَنَّهُ قَالَ: يَا اللهُ، يَا رَحْمَنُ، يَا رَحِيمُ، يَا عَزِيزُ، يَا قَوِيُّ، يَا كَبِيرُ...، إِلَىٰ آخِرِ تِلْكَ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ، فَأَتَتِ (الْمِيمُ) فِي أَعْدَلِ مَذَاهِبِ أَهْلِ الْعَرَبِيَّةِ عِوَضًا عَنْ ذَلِكَ الْأَمْرِ كُلِّهِ.

يَقُولُ النَّبِيُّ الْكَرِيمُ ﷺ: «**اللَّهُمَّ مُنْزِلَ الْكِتَابِ، وَمُجْرِيَ السَّحَابِ، وَهَازِمَ الْأَحْزَابِ؛ اهْزِمْهُمْ وَانْصُرْنَا عَلَيْهِمْ**».

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ ﴾ [الأنفال: ٤٥].

فَأَوَّلُ شَرْطٍ مِنْ شُرُوطِ النَّصْرِ: الثَّبَاتُ.

وَمَا لِلْقَوْمِ لَا يَثْبُتُونَ وَقَدْ وَعَدَهُمُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ إِحْدَىٰ الْحُسْنَيَيْنِ؛ إِمَّا النَّصْرُ وَإِمَّا الشَّهَادَةُ، فَجَعَلَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ فِي الْحَيَاةِ عِزًّا، وَجَعَلَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ فِي الْمَوْتِ مَآلًا وَنَصْرًا، وَجَعَلَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ الْعَطَاءَ مَوْصُولًا فِي الْحَالَيْنِ.

❀❀❀

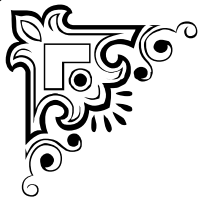

مِنْ شُرُوطِ النَّصْرِ: ذِكْرُ اللهِ كَثِيرًا

﴿إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [الأنفال: ٤٥].

وَأَتَىٰ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ بَعْدَ الْأَمْرِ بِالثَّبَاتِ بِالشَّرْطِ الثَّانِي مِنْ شُرُوطِ النَّصْرِ: ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾﴾.

وَانْظُرْ إِلَىٰ قَوْلِ رَبِّكَ جَلَّوَعَلَا وَاصِفًا ذِكْرَهُ الَّذِي أَمَرَ بِهِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ فِي مَعْرِضِ جِدَالٍ وَنِزَالٍ، وَفِي مَعْرِضِ جِلَادٍ وَعِنَادٍ، وَفِي مَعْرِضِ مُوَاقَعَةٍ وَنِزَالٍ، وَفِي مَعْرِضِ سُيُوفٍ مُشْهَرَاتٍ، وَرِمَاحٍ مُشْرَعَاتٍ، وَهَوْلٍ هَائِلٍ، وَكَرْبٍ عَصِيبٍ، وَأَرْوَاحٍ بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ، وَهَذَا الَّذِي يَتَأَتَّىٰ مِنْ هَذَا الْهَوْلِ كُلِّهِ يَخْرُجُ مِنْ وَسَطِهِ تَضَرُّعٌ وَنِدَاءٌ وَذِكْرٌ وَرَجَاءٌ إِلَىٰ رَبِّ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ، فَقُلُوبٌ مَوْصُولَةٌ بِاللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ فِي هَذَا الْمَوْطِنِ حَرِيَّةٌ بِأَنْ تُنْصَرَ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [الأنفال: ٤٥].

وَإِذَا كَانَ الشَّاعِرُ الْعَرَبِيُّ الْقَدِيمُ قَدْ أَدَلَّ عَلَىٰ مَحْبُوبَتِهِ بِأَنَّهُ قَدْ ذَكَرَهَا فِي مَوْطِنِ الْهَوْلِ وَفِي مَوْضِعِ الْفَزَعِ فَقَالَ:

وَلَقَدْ ذَكَرْتُكِ وَالرِّمَاحُ نَوَاهِلٌ مِنِّي وَبِيضُ الْهِنْدِ تَقْطُرُ مِنْ دَمِي
فَوَدِدْتُ تَقْبِيلَ السُّيُوفِ لِأَنَّهَا لَمَعَتْ كَبَارِقِ ثَغْرِكِ الْمُتَبَسِّمِ(١)

يَقُولُ: وَلَقَدْ ذَكَرْتُكِ وَالرِّمَاحُ نَوَاهِلُ مِنِّي تَنْهَلُ مِنْ دَمِي، وَبِيضُ الْهِنْدِ؛ أَيْ: سُيُوفُ الْهِنْدِ، مَنْسُوبَةٌ إِلَىٰ الْهِنْدِ فِي جَوْدَةِ الصُّنْعِ؛ فَصَارَتْ مَثَلًا، فَهُوَ سَيْفٌ هِنْدِيٌّ.

وَلَقَدْ ذَكَرْتُكِ فِي مَوْطِنِ الرَّوْعِ، وَفِي هَذَا الْمَوْضِعِ مِنَ الْفَزَعِ وَإِنَّ رُوحِي لَهِيَ عَلَىٰ كَفِّي، وَمَعَ ذَلِكَ:

وَلَقَدْ ذَكَرْتُكِ وَالرِّمَاحُ نَوَاهِلٌ مِنِّي وَبِيضُ الْهِنْدِ تَقْطُرُ مِنْ دَمِي
فَوَدِدْتُ تَقْبِيلَ السُّيُوفِ لِأَنَّهَا لَمَعَتْ كَبَارِقِ ثَغْرِكِ الْمُتَبَسِّمِ

إِذَا كَانَ الشَّاعِرُ الْعَرَبِيُّ يَجْعَلُ هَذَا عَلَامَةً عَلَىٰ الْقُرْبِ، وَدَلَالَةً عَلَىٰ الْوَصْلِ، وَآيَةً عَلَىٰ الْمَحَبَّةِ بِتَمَكُّنِهَا مِنَ الْقَلْبِ؛ فَحَرِيٌّ بِمَنْ كَانَ مُحِبًّا للهِ حَقًّا أَنْ يَكُونَ للهِ ذَاكِرًا صِدْقًا، ﴿وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [الأنفال: ٤٥].

اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ -جَلَّتْ قُدْرَتُهُ- لَمْ يَأْمُرْ بِشَيْءٍ مِنْ أُمُورِ الْعِبَادَةِ أَنْ يَكُونَ كَثِيرًا إِلَّا مَا كَانَ مِنْ أَمْرِ الذِّكْرِ؛ فَإِنَّ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ أَمَرَ بِالْإِكْثَارِ مِنْهُ، وَفِي ذَاتِ الْغَزْوَةِ فِي يَوْمِ الْفُرْقَانِ، يَوْمَ الْتَقَىٰ الْجَمْعَانِ، فِي هَذَا الْيَوْمِ الَّذِي جَعَلَهُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ حَدًّا فَارِقًا بَيْنَ مَا مَضَىٰ مِنْ تَارِيخِ الْبَشَرِيَّةِ وَمَا يَتَأَتَّىٰ مِنْ تَارِيخِ الْإِنْسَانِيَّةِ؛ فِي يَوْمِ بَدْرٍ

(١) من شعر عنترة في «مُعَلَّقَتِهِ»، «جمهرة أشعار العرب» (ص: ٥٠).

جَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ عِنْدَ الْعَرِيشِ يَدْعُو رَبَّهُ يَقُولُ ﷺ: «**اللَّهُمَّ أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي**» يَرْفَعُ يَدَيْهِ حَتَّىٰ تَنْحَسِرَ بُرْدَتُهُ عَنْ كَتِفَيْهِ الشَّرِيفَيْنِ ﷺ، وَيَرْفَعُ يَدَيْهِ حَتَّىٰ تَبْدُوَ عُفْرَتَا إِبِطَيْهِ -أَيْ: بَيَاضُ إِبِطَيْهِ ﷺ-، «**اللَّهُمَّ أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي، اللَّهُمَّ آتِ مَا وَعَدْتَنِي، اللَّهُمَّ إِنْ تُهْلِكْ هَذِهِ الْعِصَابَةَ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ** -أَيْ: هَذَا الْجَمْعُ مِنَ النَّاسِ، يَعْنِي: أَصْحَابَهُ -رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ- **لَا تُعْبَدْ فِي الْأَرْضِ**»(١).

هَذَا اسْتِفْتَاحُ مُحَمَّدٍ ﷺ.

وَفِي الْمُقَابِلِ فِي الْمُعَسْكَرِ الْآخَرِ كَانَ أَبُو جَهْلٍ يَسْتَفْتِحُ -أَيْضًا- **يَقُولُ**: «اللَّهُمَّ أَقْطَعَنَا لِلرَّحِمِ، وَآتَانَا بِمَا لَا نَعْرِفُهُ فَأَحْنِهِ الْغَدَاةَ».

يَا لَصَفَاقَةِ الْوَجْهِ!

وَيَا حُمْرَةَ الْخَجَلِ أَيْنَ أَنْتِ؟!

هَذَا الرَّجُلُ فِي مُعَسْكَرِ الْكُفْرِ يُنَاوِئُ مُحَمَّدًا ﷺ، وَيَسْتَفْتِحُ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ ﷺ بِهَذَا الدُّعَاءِ: «اللَّهُمَّ أَقْطَعَنَا لِلرَّحِمِ، اللَّهُمَّ مَنْ أَتَىٰ بِمَا لَا نَعْرِفُ، اللَّهُمَّ انْصُرِ الْيَوْمَ -يَقُولُ أَبُو جَهْلٍ عَلَيْهِ لَعَائِنُ اللهِ- اللَّهُمَّ انْصُرِ الْيَوْمَ أَحَبَّنَا إِلَيْكَ وَأَرْضَانَا عِنْدَكَ!»(٢).

---

(١) أخرجه مسلم (١٧٦٣) من حديث عمر بن الخطاب وابن عباس رضي الله عنهم.

(٢) أخرجه ابن هشام في «السيرة» (١/ ٦٢٨)، وأحمد في «المسند» (٥/ ٤٣٢، رقم ٢٣٦٦١، و٢٣٦٦٢)، والنسائي في «الكبرىٰ» (رقم ١١١٣٧)، من طرق: عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ عَبدِ اللهِ بنِ ثَعْلَبَةَ بنِ صُعَيْرٍ، قَالَ: «كَانَ الْمُسْتَفْتِحَ يَوْمَ بدْرٍ أَبو جَهْلٍ، وَإِنَّهُ قَالَ حِينَ

فَنَصَرَ اللهُ مُحَمَّدًا، وَاسْتَجَابَ اللهُ دُعَاءَ الْفَاسِقِ فِي هَذَا الْمَوْطِنِ الْعَصِيبِ.

وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَىٰ انْتِكَاسِ الْقِيَمِ عِنْدَمَا تَنْتَكِسُ، وَارْتِكَاسِ الْمَعَايِيرِ عِنْدَمَا تَرْتَكِسُ، وَانْظُرْ إِلَىٰ النَّظْرَةِ عِنْدَمَا تَشُولُ بِذَنَبِهَا(١) كَأَنَّهَا دَابَّةٌ عَائِرٌ عَائِرَةٌ بِبَعْضِ جَنَبَاتِ الطَّرِيقِ.

انْظُرْ إِلَىٰ تَشَوُّهِ الْبَاطِنِ فَلَا يَخْرُجُ مِنْهُ شَيْءٌ إِلَّا غَبَشًا، وَكَذَا عِنْدَمَا تَكُونُ الْمِرْآةُ صَدِأَةً، فَيَنْظُرُ فِيهَا الْمَرْءُ فَلَا يَرَىٰ إِلَّا خَيَالَاتٍ وَأَشْبَاحًا، وَلَا يَرَىٰ فِيهَا إِلَّا أَوْهَامًا لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَبِينَ مِنْهَا شَيْءٌ يُمْكِنُ أَنْ يُعَدَّ فِي جُمْلَةِ الْأَنَاسِيِّ، وَلَا هُوَ مَنْسُوبٌ إِلَىٰ عَالَمِ الْإِنْسَانِ!

الرَّسُولُ ﷺ يُنَاشِدُ رَبَّهُ، وَيَأْتِي الصِّدِّيقُ -صِدِّيقُ الْأُمَّةِ الْأَكْبَرُ رضي الله عنه- بِالْبُرْدَةِ بَعْدَمَا انْحَسَرَتْ، فَيَجْعَلُهَا عَلَىٰ كَتِفَيْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، يَقُولُ: «يَا نَبِيَّ اللهِ! كَفَاكَ مُنَاشَدَتُكَ رَبَّكَ؛ فإِنَّه سَيُنْجِزُ لَكَ مَا وَعَدَكَ»(٢). ﷺ.

﴿ إِن تَسْتَفْتِحُوا۟ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ ﴾ [الأنفال: ١٩] هَذِهِ نَزَلَتْ فِي قَوْلِ أَبِي جَهْلٍ: «اللَّهُمَّ أَقْطَعَنَا لِلرَّحِمِ، وَآتَانَا بِمَا لَا نَعْرِفُ، اللَّهُمَّ انْصُرْ أَرْضَانَا عِنْدَكَ وَأَحَبَّنَا إِلَيْكَ».

=

الْتَقَىٰ الْقَوْمُ: اللَّهُمَّ أَيُّنَا كَانَ أَقْطَعَ لِلرَّحِمِ، وَآتَىٰ لِمَا لَا نَعْرِفُ فَافْتَحِ الْغَدَ، وَكَانَ ذَلِكَ اسْتِفْتَاحَهُ، فَأَنْزَلَ اللهُ ﴿ إِن تَسْتَفْتِحُوا۟ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ ﴾ [الأنفال: ١٩]».

(١) يرتفع ذيلُها.

(٢) أخرجه مسلم (١٧٦٣) من حديث عمر بن الخطاب وابن عباس رضي الله عنهم.

فَجَاءَ فَتْحُ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَنَصَرَ اللهُ -جَلَّتْ قُدْرَتُهُ- مُحَمَّدًا ﷺ.

إِنَّ الْحَيَاةَ الْبَشَرِيَّةَ فِي جُمْلَتِهَا لَمْحَةٌ فِي زَمَانٍ مُتَطَاوِلٍ لَا حَدَّ لِبَدْئِهِ وَلَا مُنْتَهَاهُ فِي مَعْرِفَةِ الْإِنْسَانِ، وَأَمَّا ذَلِكَ فَكُلُّهُ عِنْدَ اللهِ -جَلَّتْ قُدْرَتُهُ- مَكْشُوفٌ دَفْعَةً وَاحِدَةً بِلَا غُمُوضٍ وَلَا قِلَّةِ اتِّزَانٍ، هُوَ مَكْشُوفٌ عِنْدَ اللهِ -جَلَّتْ قُدْرَتُهُ-.

وَاللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ الَّذِي خَلَقَ الْإِنْسَانَ وَهُوَ أَعْرَفُ بِمَا يُصْلِحُهُ جَعَلَ لَهُ مَنْهَجًا ذِكْرِيًّا مُنْذُ يَنْتَبِهُ فَتُفْتَحُ عَلَىٰ كَوْنِ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ عَيْنَاهُ، إِلَىٰ أَنْ يُدَاعِبَ النَّوْمُ جَفْنَيْهِ حَتَّىٰ يَأْخُذَ بِمَعَاقِدِ أَجْفَانِهِ، ثُمَّ إِذَا هُوَ فِي سُبَاتٍ عَمِيقٍ وَنَوْمٍ مُتَّصِلٍ، مُنْذُ يَفْتَحُ الْمَرْءُ عَيْنَيْهِ: «**الْحَمْدُ للهِ الَّذِي أَحْيَانَا بَعْدَمَا أَمَاتَنَا وَإِلَيْهِ النُّشُورُ**»(١).

ثُمَّ يَظَلُّ فِي الْحَيَاةِ مُضْطَرِدًا مَحْكُومًا بِمَنْهَجٍ ذِكْرِيٍّ يَصِلُ الْقَلْبَ بِاللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَيَطْرَحُ الرُّوحَ عَلَىٰ عَتَبَاتِ جَنَبَاتِ رَحَمَاتِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، فَيَظَلُّ الْمَرْءُ مَوْصُولًا بَدْءًا وَمُنْتَهىً، مَا بَيْنَ الصَّحْوِ وَالْإِفَاقَةِ وَمَا بَيْنَ النَّوْمِ وَذَهَابِ الِانْتِبَاهِ جُمْلَةً؛ يَظَلُّ الْمَرْءُ بَيْنَ هَذَيْنِ مَوْصُولَ الْقَلْبِ بِاللهِ، دَائِمَ الذِّكْرِ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، مُقْبِلًا بِجَوَارِحِهِ فِي كُلِّ حَالٍ وَحِينٍ عَلَىٰ الَّذِي فَطَرَهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ، وَالَّذِي خَلَقَهُ فَذَرَأَهُ فَسَوَّاهُ فَعَدَلَهُ؛ فَالْحَمْدُ للهِ عَلَىٰ نِعْمَةِ الْإِسْلَامِ، وَالْحَمْدُ للهِ عَلَىٰ اتِّبَاعِ سُنَّةِ نَبِيِّ الْإِسْلَامِ ﷺ.

---

(١) أخرج البخاري (٦٣٢٤) عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: «كانَ النَّبيُّ ﷺ إذَا أرَادَ أنْ يَنَامَ قالَ: «**باسْمِكَ اللَّهُمَّ أمُوتُ وأَحْيَا**»، وإذَا اسْتَيْقَظَ مِن مَنَامِهِ قالَ: «**الحَمْدُ لِلَّهِ الذي أحْيَانَا بَعْدَ ما أمَاتَنَا وإلَيْهِ النُّشُورُ**».

الشَّرْطُ الْأَوَّلُ مِنْ شُرُوطِ النَّصْرِ: ﴿ اثْبُتُوا ﴾ [الأنفال: ٤٥].

وَالشَّرْطُ الثَّانِي: ﴿وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ﴾ [الأنفال: ٤٥].

ثُمَّ جَعَلَ الْأَمْرَ بَعْدَ ذَلِكَ عَلَىٰ سَبِيلِ الْكَثْرَةِ: ﴿وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [الأنفال: ٤٥]، فَعَلَىٰ رَجَاءِ الْفَلَاحِ فِي الْحَالِ وَفِي الْمَآلِ، وَعَلَىٰ رَجَاءِ تَحْصِيلِ النَّصْرِ، أَوِ الْوُصُولِ إِلَىٰ بَرِّ الْأَمَانِ بِمُلَاقَاةِ الشَّهَادَةِ، وَالْإِقْبَالِ عَلَىٰ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ نَازِفَ الْجُرْحِ، اللَّوْنُ لَوْنُ الدَّمِ، وَالرِّيحُ رِيحُ الْمِسْكِ(١)، وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ بِمَقَامٍ، وَأَيُّ مَقَامٍ.

❀❀❀

(١) أخرج البخاري (٢٣٧)، ومسلم (١٨٧٦) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**كُلُّ كَلْمٍ يُكْلَمُهُ المُسْلِمُ في سَبيلِ اللهِ، يَكونُ يومَ القِيَامَةِ كَهَيْئَتِهَا، إذْ طُعِنَتْ، تَفَجَّرُ دَمًا، اللَّوْنُ لَوْنُ الدَّمِ، والعَرْفُ عَرْفُ المِسْكِ**»، وفي رواية عند ابن حبان في «صحيحه» (٤٦٥٢): «**والَّذي نفسي بيدِه! لا يُكْلَمُ أحدٌ في سبيلِ اللهِ** -واللهُ أعلَمُ بمَن يُكْلَمُ في سبيلِه- **إلَّا جاء يومَ القيامةِ وجُرحُه ينثَعِبُ دمًا اللَّونُ لونُ دمٍ والرِّيحُ ريحُ مِسكٍ**».

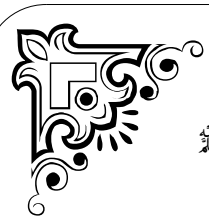

مِنْ شُرُوطِ النَّصْرِ: طَاعَةُ اللهِ وَرَسُولِهِ ﷺ

﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ [الأنفال: ٤٦].

وَجَعَلَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ الطَّاعَةَ هَاهُنَا عَلَىٰ فِعْلٍ مُشْتَرَكٍ لَمْ يُثَنِّهِ؛ لِيَعْلَمَ النَّاسُ أَنَّ طَاعَةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ طَاعَةٌ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، فَلَمْ يَحْتَجِ الْأَمْرُ إِلَىٰ إِعَادَةِ الْأَمْرِ بِالطَّاعَةِ لِلرَّسُولِ عَلَىٰ سَبِيلِ الِانْفِرَادِ، لَمْ يَقُلْ: وَأَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ، وَإِنَّمَا قَالَ: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾.

﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾: فَهَذَا شَرْطٌ مِنْ شُرُوطِ النَّصْرِ؛ أَنْ يَكُونَ الْمَرْءُ طَائِعًا للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، مُطِيعًا لِنَبِيِّهِ الْأَمِينِ ﷺ.

فَإِذَا لَمْ يَتَأَتَّ هَذَا الْأَمْرُ عَلَىٰ هَذِهِ الصُّورَةِ فَحَدِّثْ عَنِ الْفَشَلِ وَلَا حَرَجَ؛ لِأَنَّ عَدَمَ الطَّاعَةِ للهِ وَرَسُولِهِ ﷺ تَنْسِفُ الشَّرْطَ الثَّالِثَ مِنْ شُرُوطِ النَّصْرِ عَلَىٰ حَسَبِ تَرْتِيبِ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، ثُمَّ تَمْحَقُ مَا يَأْتِي بَعْدُ، ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ [الأنفال: ٤٦]؛ لِأَنَّهُ إِذَا انْتَفَتْ طَاعَةُ اللهِ وَرَسُولِهِ ﷺ جَاءَ النِّزَاعُ وَجَاءَتِ الْمُنَازَعَةُ، فَجَاءَ الْفَشَلُ لَاحِقًا، وَحَلَّ هَذَا الْفَشَلُ بَعْدَ ذَلِكَ عَلَىٰ سَاحَةِ الْقَوْمِ، فَجَبُنُوا عَنِ اللِّقَاءِ.

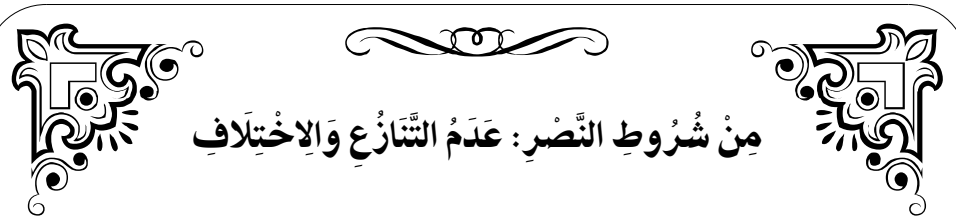

مِنْ شُرُوطِ النَّصْرِ: عَدَمُ التَّنَازُعِ وَالِاخْتِلَافِ

ثُمَّ يَتَأَتَّىٰ وَعْدُ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَوَعِيدُهُ -وَاللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ-: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْۖ وَٱصْبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [الأنفال: ٤٦].

اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ يَأْمُرُ الْقَوْمَ إِذَا مَا أَرَادُوا النَّصْرَ أَلَّا يَتَنَازَعُوا، فَرَفْعُ النِّزَاعِ شَرْطٌ مِنْ شُرُوطِ النَّصْرِ:

- أَنْ يَثْبُتَ الْقَوْمُ.
- وَأَنْ يَذْكُرُوا اللهَ ذِكْرًا كَثِيرًا.
- ثُمَّ تَتَأَتَّىٰ مِنْهُمْ طَاعَةٌ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَرَسُولِهِ ﷺ.
- ثُمَّ فَلْيَنْتَفِ النِّزَاعُ عَنْ هَؤُلَاءِ حَتَّىٰ يَتَأَتَّىٰ لَهُمُ النَّصْرُ.

وَلَكِنْ هَيْهَاتَ! فَإِنَّ الْهَوَىٰ قَدْ تَمَكَّنَ مِنَ الْقُلُوبِ، وَإِنَّ الْعُجْبَ بِالذَّاتِ وَإِنَّ الْإِحْسَاسَ بِالنَّفْسِ قَدِ اسْتَحْوَذَ عَلَىٰ تِلْكَ الْقُلُوبِ، فَأَصْبَحَتْ فِي قَبْضَةِ الْأَنَا، لَا تَخْلُصُ مِنْهَا أَبَدًا، وَلَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تَكُفَّ قُيُودَهَا مِمَّا قُفِّلَتْ بِهِ مِنْ تِلْكَ الْأَقْيَادِ الَّتِي قُيِّدَتْ بِهِ؛ مِنْ حُبِّ الذَّاتِ وَالْإِحْسَاسِ بِهَا.

﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ﴾؛ فَإِنَّكُمْ إِنْ تَنَازَعْتُمْ فَشِلْتُمْ، ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ﴾، وَأَتَىٰ بِـ(الْفَاءِ) تَعْقِيبًا؛ لِيَدُلَّ عَلَىٰ أَنَّ الْفَشَلَ يَأْتِي بِعَقِبِ النِّزَاعِ مِنْ غَيْرِ مَا فَصْلٍ، فَأَتَىٰ بِهِ لِأَنَّ الْأَمْرَ بِـ(الْفَاءِ) هَاهُنَا دَلَالَةٌ عَلَىٰ أَنَّهُ لَيْسَ هُنَالِكَ مِنْ فَاصِلٍ بَيْنَ الْأَمْرَيْنِ، بَلْ هَذَا مُرَتَّبٌ عَلَىٰ هَذَا تَرْتِيبًا حَالِيًّا بِغَيْرِ مَا فَصْلٍ فِي الْآنِ وَلَا فِي الزَّمَانِ، فَيَقُولُ رَبُّنَا -جَلَّتْ قُدْرَتُهُ-: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾؛ يَعْنِي: وَتَذْهَبَ قُوَّتُكُمْ.

فَإِذَا مَا هُنْتُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ بَعْدَمَا هَانَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ بِأَمْرِهِ عَلَيْكُمْ؛ صِرْتُمْ هَيِّنِينَ لَيِّنِينَ عَلَىٰ أَعْدَائِكُمْ، فَنَزَعَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ الرَّهْبَةَ مِنْكُمْ مِنْ صُدُورِ أَعْدَائِكُمْ، فَسَامُوكُمُ الْخَسْفَ، وَأَذَلُّوكُمْ، وَنَزَلَ بِكُمْ مَا لَا تُحِبُّونَهُ وَلَا تَرْضَوْنَهُ؛ مِنْ سَلْبِ الْأَمْوَالِ، وَهَدْمِ الدِّيَارِ، وَهَتْكِ الْأَعْرَاضِ، وَالِاسْتِيلَاءِ عَلَىٰ الْأَبْدَانِ، وَالْأَعْظَمُ مِنْ هَذَا كُلِّهِ تَغْيِيرُ الدِّينِ، وَمُحَاوَلَةُ الْمَحْقِ لِمَا هُوَ ثَابِتٌ، وَهَيْهَاتَ هَيْهَاتَ، وَلَكِنَّمَا هُوَ جِيلٌ يَدْخُلُ الْأَتُّونَ الْمُسْتَعِرَ فَيَفْنَىٰ؛ لِأَنَّهُ فِي الْحَقِيقَةِ لَا يَسْتَحِقُّ الْحَيَاةَ.

لَقَدْ كَانَ مُحَمَّد رَشِيد رِضَا -رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِ- قَدْ ذَكَرَ فِي بَعْضِ مُصَنَّفَاتِهِ مِنِ اخْتِلَافِ الْمُسْلِمِينَ وَتَنَازُعِهِمْ مَا أَقُصُّهُ عَلَيْكَ -بِحَوْلِ اللهِ جَلَّتْ قُدْرَتُهُ-، يَقُولُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إِنَّ بَعْضَ الْمُتَعَصِّبِينَ مِنَ الْأَحْنَافِ الْأَفْغَانِيِّينَ سَمِعَ رَجُلًا فِي الصَّفِّ فِي الصَّلَاةِ يَقْرَأُ سُورَةَ الْفَاتِحَةِ، فَضَرَبَهُ بِجُمَاعِ يَدِهِ فِي صَدْرِهِ، فَوَقَعَ لِقَفَاهُ، كَادَ أَنْ يَمُوتَ!

وَآخِرُ رَأَىٰ رَجُلًا يُحَرِّكُ السَّبَّابَةَ فِي التَّشَهُّدِ فِي الصَّلَاةِ، فَحَنَا عَلَيْهِ فَكَسَرَ أُصْبُعَهُ! هَكَذَا! هَكَذَا كَانَ الْأَمْرُ وَمَا يَزَالُ، افْتِعَالٌ لِتِلْكَ الْقَضَايَا الْجُزْئِيَّةِ الَّتِي يَا طَالَمَا مَرَّ عَلَىٰ الْأُمَّةِ فِي حَالِ صِحَّتِهَا أَمْثَالُ أَمْثَالِهَا.

إِنَّ الرَّجُلَ الَّذِي فَقَدَ الْمَنَاعَةَ جَسَدُهُ، وَالَّذِي لَا يَجِدُ الْمَنَاعَةَ جِسْمُهُ؛ هَذَا الرَّجُلُ يُؤَثِّرُ فِيهِ النَّسِيمُ وَلَوْ كَانَ عَلِيلًا، وَيَجْرَحُ فِي أَدِيمِ صِحَّتِهِ الْهَوَاءُ وَلَوْ كَانَ مَلِيلًا؛ وَلَكِنَّ الرَّجُلَ الْقَوِيَّ الْفَتِيَّ فِي عُنْفُوَانِ صِحَّتِهِ يَصِحُّ بَدَنُهُ عَلَىٰ هَذَا الَّذِي يَزْخَمُ بِجَهْدِهِ جَسَدُهُ ذَلِكَ الْعَلِيلُ، وَكَذَلِكَ الشَّأْنُ فِي الْأُمَّةِ عِنْدَمَا تَخْتَلِفُ اضْطِرَابًا، وَعِنْدَمَا يَتَأَتَّىٰ إِلَيْهَا الْفَشَلُ تَنَازُعًا وَاخْتِلَافًا، يَجْرَحُ فِيهَا الْقَلِيلُ وَالْقَلِيلُ؛ لِأَنَّهُ عِنْدَمَا يَتَصَدَّرُ لِلْكَلَامِ الْعَوَامُّ، وَعِنْدَمَا يُشَارِكُ فِي الْمَسَائِلِ الْعِلْمِيَّةِ مَنْ لَا يُحْسِنُ الْكَلَامَ؛ فَحَدِّثْ عَنِ الْفَوْضَىٰ وَلَا حَرَجَ، وَهُوَ وَاقِعٌ مُشَاهَدٌ مَنْظُورٌ.

إِنَّ اللهَ -جَلَّتْ قُدْرَتُهُ- قَدْ ذَكَرَ فِي كِتَابِهِ الْعَظِيمِ قَانُونًا كُلِّيًّا عَامًّا يَحْكُمُ الْمَسْأَلَةَ الْعِلْمِيَّةَ بِالْقَوَانِينِ التَّنْظِيمِيَّةِ الْعِلْمِيَّةِ؛ بِحَيْثُ إِنَّ الضَّوَابِطَ التَّنْظِيمِيَّةَ الْحَاكِمَةَ لِلْعَمَلِيَّةِ الْعِلْمِيَّةِ فِي الشَّرْعِ الْإِسْلَامِيِّ الْحَنِيفِ تَجِدُهَا مُنْضَبِطَةً جِدًّا؛ بِحَيْثُ لَا تَجِدُ فِيهَا -لَوْ أَنَّهَا طُبِّقَتْ- خَلَلًا أَبَدًا.

يَقُولُ رَبُّنَا -جَلَّتْ قُدْرَتُهُ-: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [التوبة: ١٢٢].

فَجَعَلَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ طَائِفَةً مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ إِذَا كَانَ النَّفِيرُ لِلْعِلْمِ، وَإِذَا كَانَ النَّفِيرُ عَلَىٰ أَصْلِهِ فَالْأَمْرُ يَؤُولُ فِي الْمُنْتَهَىٰ إِلَىٰ أَنْ يُعَلِّمَ مَنْ عُلِّمَ،

وَمَنْ هُوَ عَالِمٌ يُعَلِّمُ الْجَاهِلَ الَّذِي لَا يَعْلَمُ؛ وَلَكِنْ عَلَىٰ قَانُونٍ مُنْضَبِطٍ مِنْ غَيْرِ مَا خَبْطٍ فِي بَيْدَاءِ الظُّنُونِ، وَلَا سَيْرٍ فِي دُنْيَا الْأَوْهَامِ، يَتَوَقَّفُ الرَّجُلُ عِنْدَ حُدُودِ مَا يَعْلَمُ، وَيَتَّسِعُ صَدْرُ الْعُلَمَاءِ وَطُلَّابِ الْعِلْمِ لِمَا لَا يَتَّسِعُ لَهُ صَدْرُ الْعَوَامِّ، فَإِذَا طُرِحَتِ الْمَسَائِلُ الْخِلَافِيَّةُ، وَالْخِلَافُ وَالِاخْتِلَافُ بِمَسَائِلِهِ فِي الْإِسْلَامِ الْعَظِيمِ -يَعْنِي: الِاخْتِلَافَ الْفُرُوعِيَّ فِي الْأَحْكَامِ-؛ الِاخْتِلَافُ فِي الْأَحْكَامِ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ يَنْضَبِطَ، وَلَوْ أَنَّهُ كُلَّمَا اخْتَلَفَ مُسْلِمَانِ فِي حُكْمٍ مِنَ الْأَحْكَامِ تَهَاجَرَا، وَتَعَادَيَا، وَتَنَاطَحَا، وَتَشَاجَرَا، وَتَرَافَسَا؛ لَمَا كَانَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ عِصْمَةٌ وَلَا أُخُوَّةٌ، وَلَوْ أَنَّهُ كُلَّمَا اخْتَلَفَ مُسْلِمَانِ فِي حُكْمٍ مِنَ الْأَحْكَامِ تَهَاجَرَا؛ لَمَا كَانَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ عِصْمَةٌ وَلَا أُخُوَّةٌ.

يَا أَصْحَابَ الْعُقُولِ أَيْنَ أَنْتُمْ؟!!

وَيَا أُولِي الْأَلْبَابِ أَيْنَ ذَهَبْتُمْ؟!!

إِنَّهَا أُمَّةٌ يَجْرَحُ فِي أَدِيمِ صِحَّتِهَا النَّسِيمُ!

إِنَّهَا أُمَّةٌ يُؤَثِّرُ فِيهَا لِعِلَّتِهَا مَا لَا يُؤَثِّرُ فِي الْجَسَدِ الصَّحِيحِ!

﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ [الأنفال: ٤٦].

وَنَبِيُّكُمْ ﷺ كَانَ يَطْوِي الْمَرَاحِلَ طَيًّا؛ لِكَيْ يَجْعَلَ الْخِلَافَ قَرِيبًا بَعْضَهُ مِنْ بَعْضٍ ﷺ، وَخُذْ إِلَيْكَ مِثَالًا مِمَّا لَا يَصِيرُ مِحْوَرًا يَتَمَحْوَرُ حَوْلَهُ الْفَارِغُونَ؛ لِأَنَّهَا حَرَكَةُ عُقُولٍ فَارِغَةٍ لَا تَجِدُ تَحْقِيقًا لِذَاتِهَا إِلَّا بِهَدْرِ أَلْسِنَتِهَا بَيْنَ أَشْدَاقِهَا كَالطَّبْلِ الْأَجْوَفِ، فَهُوَ تَحْقِيقٌ لِلذَّاتِ فِي أَيِّ شَيْءٍ.

وَالْعِلْمُ الشَّرْعِيُّ الْيَوْمَ وَالدَّعْوَةُ إِلَىٰ الدِّينِ يَتِيمَانِ مِسْكِينَانِ، يَلْطِمُهُمَا كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ، وَيَتَكَلَّمُ فِيهِمَا كُلُّ غَيْرِ ذِي أَيْدٍ شَدِيدٍ، وَيَحْنُو عَلَيْهِمَا بِالْمَلَامَةِ مَنْ لَا يَعْلَمُ شَيْئًا؛ بَلْ هُوَ أَجْهَلُ مِنَ الْحِمَارِ الْأَعْجَمِ، كَذَلِكَ الشَّأْنُ -وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ-.

وَقُلْتُ قَدِيمًا -بِحَوْلِ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَقُدْرَتِهِ-: إِنَّ رَجُلًا لَوْ أَرَادَ أَنْ يَصِيرَ مِنْ نِعْمَةِ رَبِّهِ عَلَيْهِ طُرْشَجِيًّا؛ لَمَا اسْتَطَاعَ أَنْ يَتَّخِذَ لِنَفْسِهِ دُكَّانًا يَبِيعُ فِيهِ الْمَوْصُوفَ آنِفًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِجْرَاءَاتٍ وَمُوَافَقَاتٍ، وَفَحْصٍ وَكَشْفٍ، وَبَيَانَاتٍ وَسِجِلَّاتٍ، ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ يُؤْذَنُ لَهُ بِأَنْ يَصِيرَ طُرْشَجِيًّا عَلَىٰ هَامَاتِ الْخَلْقِ!

إِذَا مَا أَرَادَ أَنْ يَكُونَ بَائِعًا لِلْفَسِيخِ، إِذَا مَا أَرَادَ أَنْ يَكُونَ بَائِعًا لِمَأْكُولٍ فَصِحَّةُ الْأَبْدَانِ يَنْبَغِي أَنْ تُصَانَ، وَأَمَّا صِحَّةُ الْأَدْيَانِ فَحَدِّثْ عَنِ الْفَسَادِ وَلَا حَرَجَ، إِذَا أَرَادَ الرَّجُلُ أَنْ يَكُونَ عَالِمًا فَعُدَّةُ الشُّغْلِ مَوْجُودَةٌ؛ إِنْ هِيَ إِلَّا تِلْكَ الْقَلَنْسُوَاتُ الَّتِي صُنِعَتْ فِي غَيْرِ دِيَارِ الْإِسْلَامِ، إِلَىٰ مَا يَلْحَقُ بِهَا، وَيَدُورُ فِي فَلَكِهَا، ثُمَّ فَلْيَصِرِ الرَّجُلُ عَالِمًا يُفْتِي فِي أُمُورٍ قَالَ أَبُو حُصَيْنٍ رَحِمَهُ اللهُ لِأَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ وَالتَّابِعِينَ[1]: «إِنَّكُمْ لَتَتَكَلَّمُونَ فِي أُمُورٍ لَوْ كَانَتْ عَلَىٰ عَهْدِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لَجَمَعَ لَهَا أَهْلَ بَدْرٍ؛ وَلَكِنْ أَنْتُمْ تَجْتَرِئُونَ عَلَىٰ دِينِ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ!».

---

(١) أخرجه البيهقي في «المدخل» (٨٠٣)، وابن عساكر (٣٨/ ٨١١).

وَقَدِيمًا قَالَ عُلَمَاؤُنَا -عَلَيْهِمُ الرَّحْمَةُ؛ رَحْمَةُ اللهِ وَرِضْوَانُهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ- قَالُوا: «إِنَّ أَجْرَأَ النَّاسِ عَلَىٰ الْفُتْيَا أَقَلُّهُمْ عِلْمًا».

أَمَّا الَّذِينَ يَتَوَقَّفُونَ، وَيَعْلَمُونَ أَنَّ مَا يَتَكَلَّمُونَ بِهِ يُحَاسَبُونَ عَلَيْهِ؛ فَخُذْ لَهُمْ مِثَالًا وَاحِدًا، خُذْ مَالِكَ بْنَ أَنَسٍ إِمَامَ دَارِ الْهِجْرَةِ، مَا تَكَلَّمَ فِي الدِّينِ حَتَّىٰ شَهِدَ لَهُ سَبْعُونَ، قَالَ: «وَلَوْ نَهَوْنِي لَانْتَهَيْتُ».

لَمْ يَصْنَعْ حَلْقَةً، وَلَمْ يَتَّخِذِ الدِّينَ تِجَارَةً، وَلَمْ يَتَهَجَّمْ عَلَىٰ الدِّينِ مِنْ غَيْرِ عَمَلٍ بِمَا يَعْلَمُهُ، وَإِنَّمَا يَتَعَلَّمُ لِيَعْمَلَ، وَلَا يَضَعُ فِي حُسْبَانِهِ أَنْ يَكُونَ قَارِئًا لِيَقُولَ، وَأَنْ يَكُونَ مُطَّلِعًا لِيَعِظَ، ثُمَّ يَمُرُّ الْأَمْرُ عَلَيْهِ كَمَا تَمُرُّ الْكَهْرُبَاءُ عَلَىٰ السِّلْكِ قَدْ لَوَّثَتْهُ نِيمُ الذُّبَابِ بِخَرَئِهِ وَمَا كَانَ عَلَيْهِ مِنْ قَذَارَاتٍ وَمَا كَانَ عَلَيْهِ مِنْ أَوْحَالٍ، وَلَكِنْ هُوَ لَا يَسْتَفِيدُ شَيْئًا، وَلَا يُفِيدُ مِمَّا قَرَأَ وَاطَّلَعَ عَلَيْهِ لَا قَلِيلًا وَلَا كَثِيرًا.

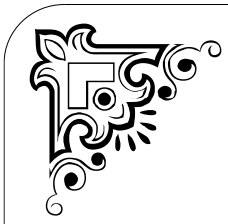

مِنْ شُرُوطِ النَّصْرِ: الصَّبْرُ

﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ٤٦﴾

[الأنفال: ٤٦].

وَهِيَ مَعِيَّةٌ خَاصَّةٌ ذَكَرَهَا اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ؛ لِأَنَّهُ مَوْضِعُ نِزَالٍ وَجِلَادٍ، وَهُوَ مَوْطِنٌ فِيهِ مَظِنَّةُ أَنْ تَسِيلَ النُّفُوسُ عَلَىٰ ذُبَابِ[1] السُّيُوفِ، وَأَنْ تَخْرُجَ الْأَرْوَاحُ عَلَىٰ أَسِنَّةِ الرِّمَاحِ.

لَمَّا كَانَ الْأَمْرُ عَصِيبًا، وَكَانَ الْأَمْرُ أَمْرَ حَيَاةٍ تُسْلَبُ، وَأَرْوَاحٍ تُزْهَقُ؛ أَتَىٰ الْأَمْرُ هَاهُنَا مَعَ التَّأْيِيدِ بِالْمَعِيَّةِ الْخَاصَّةِ، لَمْ يَقُلْ: (وَاصْبِرُوا) ثُمَّ يَسْكُتُ، وَإِنَّمَا أَتَىٰ بِالصَّبْرِ أَمْرًا، أَتَىٰ بِالصَّبْرِ جَزْمًا، ثُمَّ أَتَىٰ بِمَا يُعِينُ عَلَىٰ الصَّبْرِ، وَيُثَبِّتُ عَلَىٰ الْأَمْرِ، ﴿وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ٤٦﴾، فَإِنْ تَحَقَّقْتُمْ بِالْأَمْرِ وَصَبَرْتُمْ جَاءَ التَّأْيِيدُ مِنَ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ بِالْمَعِيَّةِ الْخَاصَّةِ، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ٤٦﴾.

---

(١) ذُبابُ السّيْفِ: حَدُّ طرفيه.

اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ يَأْمُرُ الْقَوْمَ أَنْ يَأْخُذُوا بِشُرُوطِ النَّصْرِ، وَأَنْ يُحَصِّلُوهَا؛ حَتَّىٰ يَصِلُوا إِلَىٰ شَاطِئِ النَّصْرِ الْعَزِيزِ؛ وَإِلَّا فَهُوَ اضْطِرَابٌ فِي وَحْلِ الْهَزِيمَةِ، وَهُوَ انْتِكَاسٌ فِي بِحَارٍ أَلِيمَةٍ، وَلَا يَصِلُ النَّاسُ إِلَىٰ شَيْءٍ مِنَ الْعِزِّ بِغَيْرِ النَّصْرِ وَالتَّمْكِينِ، وَلَهُمَا شُرُوطٌ ذَكَرَهَا رَبُّ الْعَالَمِينَ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةٗ فَٱثۡبُتُواْ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٤٥ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ٤٦ ﴾ [الأنفال: ٤٥-٤٦].

❀❀❀

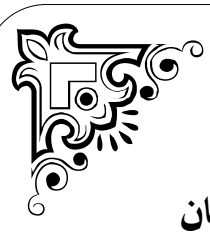

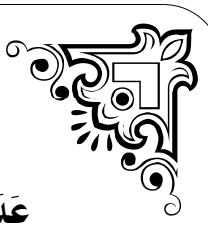

مِنْ شُرُوطِ النَّصْرِ:
عَدَمُ التَّشَبُّهِ بِالْكُفَّارِ فِي الْبَطَرِ وَالْكِبْرِ وَالطُّغْيَانِ

وَأَمَّا الشَّرْطُ السَّادِسُ فَشَأْنُهُ عَجِيبٌ عَجِيبٌ.

يَنْهَىٰ رَبُّنَا -جَلَّتْ قُدْرَتُهُ- الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَتَشَبَّهُوا بِالْكَافِرِينَ فِي الْبَطَرِ وَالْأَشَرِ وَالطُّغْيَانِ وَالْكِبْرِ، وَنَفْيِ الْإِخْلَاصِ عَنِ الْقُلُوبِ؛ إِخْبَاتًا لِرَبِّ الْعَالَمِينَ.

﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ﴾ [الأنفال: ٤٧]: فَذَكَرَ اثْنَيْنِ ﴿وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: فَأَتَىٰ بِفِعْلٍ؛ لِأَنَّ مَا كَانَ مَذْكُورًا بِالِاسْمِ كَانَ مُتَحَقِّقًا سَلَفًا: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ﴾، كَانَ الْبَطَرُ وَكَانَ رِئَاءُ النَّاسِ -أَيْ: رِيَاؤُهُمْ- كَانَ مَوْجُودًا فِي هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ الْخَارِجِينَ، وَأَمَّا الَّذِي تَجَدَّدَ لَهُمْ، وَظَلَّ مُسْتَمِرًّا لَدَيْهِمْ؛ فَعَبَّرَ عَنْهُ بِالْفِعْلِ الْمُضَارِعِ الْمُفِيدِ لِلتَّجَدُّدِ وَالْحُدُوثِ.

يَقُولُ رَبُّنَا -جَلَّتْ قُدْرَتُهُ-: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الأنفال: ٤٧].

فَهَذَا هُوَ الشَّرْطُ السَّادِسُ مِنْ شُرُوطِ النَّصْرِ عَلَىٰ الْأَعْدَاءِ، وَالتَّمْكِينِ فِي الْبِلَادِ، وَهُوَ -كَمَا تَرَىٰ- شَرْطٌ سَلْبِيٌّ مَحْضٌ؛ إِذْ يَنْهَىٰ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ الْمُؤْمِنِينَ

أَنْ تَحُوزَ أَنْفُسُهُمْ وَأَنْ تَشْتَمِلَ قُلُوبُهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ مِنَ الْبَطَرِ، أَوِ الرِّيَاءِ، أَوِ الصَّدِّ عَنْ سَبِيلِ اللهِ؛ فَهَذِهِ تَخْلِيَةٌ لَا تَحْلِيَةٌ.

وَأَمَّا مَا ذَكَرَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ مِنَ الشُّرُوطِ السَّابِقَاتِ؛ فَكُلُّهُ كَانَ دَائِرًا فِي إِيجَابِيَّةٍ فَاعِلَةٍ، بَاهِرَةٍ مُبْهِرَةٍ، تَتَقَلَّبُ عَمَلًا، وَتُرِيدُ حَرَكَةً لِتَتَحَقَّقَ فِي دُنْيَا النَّاسِ، وَأَمَّا هَذَا الشَّرْطُ فَإِنَّ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ضَرَبَ الْمِثَالَ الْعَمَلِيَّ فِيهِ وَكَانَ مُشَاهَدًا، ثُمَّ يَنْتَقِلُ إِلَىٰ الْأَجْيَالِ مِنْ بَعْدُ، يَتَحَدَّرُ إِلَىٰ الْأَسْمَاعِ فِي ظِلَالٍ وَنَدًى، يَنْقُلُهُ خَالِفٌ عَنْ سَالِفٍ، وَيَرْوِيهِ الرُّوَاةُ تَسِيرُ بِرِوَايَتِهِ الرُّكْبَانُ؛ لِأَنَّهَا كَانَتْ فَضِيحَةً مُدَوِّيَةً -نَسْأَلُ اللهَ السَّتْرَ وَالْعَافِيَةَ-.

﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٤٧﴾﴾ [الأنفال: ٤٧].

يَصِفُ رَبُّنَا -جَلَّتْ قُدْرَتُهُ-، وَالْكَلَامُ -كَمَا مَرَّ ذِكْرُهُ بِحَوْلِ اللهِ جَلَّتْ قُدْرَتُهُ- دَرْسٌ مِنْ دُرُوسِ سُورَةِ الْأَنْفَالِ فِي سِيَاقِ الْحَدِيثِ عَنْ مَوْقِعَةِ بَدْرٍ، لَمَّا خَرَجَ الْقَوْمُ خَرَجُوا بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ، وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللهِ؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَرْسَلَ رَسُولَيْنِ -جَاسُوسَيْنِ-؛ أَرْسَلَهُمَا لِكَيْ يَسْتَطْلِعَا الْأَنْبَاءَ؛ أَنْبَاءَ الْعِيرِ لَا أَنْبَاءَ النَّفِيرِ، لِكَيْ يَأْتِيَا بِأَنْبَاءِ عِيرِ أَبِي سُفْيَانَ قَافِلَةً رَاجِعَةً إِلَىٰ حَيْثُ مُسْتَقَرُّهَا فِي الْبَلَدِ الْأَمِينِ.

فَلَمَّا ذَهَبَ الرَّسُولَانِ مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَهُمَا: بَسْبَسُ بْنُ عَمْرٍو، وَعَدِيُّ بْنُ الزَّغْبَاءِ، فَنَزَلَا لِمَاءٍ عِنْدَ بَدْرٍ(١)، فَوَجَدَا مَجْدِيَّ بْنَ عَمْرٍو الْجُهَنِيَّ

(١) أخرج مسلم في «**الصحيح**»: كتاب الإمارة، (١٩٠١)، من حديث: أنس بن مالك، =

هُنَالِكَ، فَأَنَاخَا رَاحِلَتَيْهِمَا، ثُمَّ جَاءَ بَعْرُ الرَّاحِلَتَيْنِ -بِقَدَرِ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ-، فَاسْتَقَيَا فِي شَنٍّ -فِي قِرْبَةٍ بَالِيَةٍ- مِنْ عَيْنِ مَاءٍ هُنَالِكَ فِي (وَادِي بَدْرٍ)، وَذَلِكَ قَبْلَ قُدُومِ أَبِي سُفْيَانَ بِالْعِيرِ بِيَوْمٍ أَوْ يَوْمَيْنِ، فَسَمِعَا عَلَىٰ الْمَاءِ جَارِيَتَيْنِ تَتَنَازَعَانِ؛ وَاحِدَةٌ مِنْهُمَا تُقَاضِي أُخْتَهَا دَيْنًا عَلَيْهَا، فَقَالَتِ الْمَلْزُومَةُ الَّتِي عَلَيْهَا الدَّيْنُ: غَدًا أَوْ بَعْدَ غَدٍ تَأْتِي الْقَافِلَةُ فَأَعْمَلُ لَهَا، ثُمَّ أَقْضِيكِ حَقَّكِ.

وَرَجَعَ الرَّسُولَانِ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَجَاءَ أَبُو سُفْيَانَ، فَنَزَلَ عَلَىٰ مَجْدِيِّ بْنِ عَمْرٍو فَقَالَ لَهُ: «هَلْ رَأَيْتَ شَيْئًا مُرِيبًا؟».

فَقَالَ: «جَاءَ رَجُلَانِ فَأَنَاخَا هَاهُنَا -وَأَشَارَ إِلَىٰ مَوْضِعِ مَنَاخِهِمَا-، فَاسْتَقَيَا مِنَ الْمَاءِ، ثُمَّ انْصَرَفَا».

فَذَهَبَ أَبُو سُفْيَانَ إِلَىٰ الْمَكَانِ الَّذِي أُنِيخَتْ فِيهِ الرَّاحِلَتَانِ، فَأَخَذَ الْبَعْرَ فَفَتَّهُ فَوَجَدَ فِيهِ النَّوَىٰ، فَقَالَ: «هَذِي وَاللهِ! عَلَائِفُ يَثْرِبَ، وَهَذَانِ مِنْ عِنْدِ مُحَمَّدٍ» ﷺ.

=

قال: بعث رسول الله ﷺ بسيسة عينا ينظر ما صنعت عير أبي سفيان،..

قال القاضي عياض في «**مشارق الأنوار**» (١/ ١١٢): «كَذَا فِي جَمِيع النّسخ: (بُسَيْسَة) بِضَم الْبَاء وَفتح السِّين الْمُهْملَة مصغر، وَالْمَعْرُوف فِي اسْمه: (بَسْبَس) بباءين بِوَاحِدَة فيهمَا مفتوحتين وسينين مهملتين الأولىٰ سَاكِنة، وَكَذَا ذكره ابْن إِسْحَاق وَابْن هِشَام وَغَيرهمَا، وَكَذَا جَاءَ عِنْد بعض رُوَاة مُسلم لَكِن بِزِيَادَة هَاء (بسبسه)»، قال النووي في شرح صحيح مسلم (١٣/ ٤٤): «يجوز أن يكون أحد اللفظين اسما له والآخر لقبا».

فَعَلِمَ أَنَّ الْأَمْرَ قَدِ انْكَشَفَ، فَأَسْرَعَ مُدْبِرًا لَا يَلْوِي عَلَىٰ شَيْءٍ، وَحَرَفَ وُجْهَةَ الْقَافِلَةِ إِلَىٰ السَّاحِلِ، فَسَاحَلَ بِهَا، وَجَانَبَ نَفْسَهُ وَالْقَبِيلَةَ، وَتَجَنَّبَ الطَّرِيقَ الرَّئِيسَ، ثُمَّ فَرَّ هَارِبًا.

وَأَرْسَلَ رَسُولًا مِنْ عِنْدِهِ إِلَىٰ قُرَيْشٍ، وَكَانَ قَبْلَ ذَلِكَ قَدِ اسْتَنْفَرَهُمْ، فَأَعَدُّوا الْعُدَّةَ، وَأَخَذُوا لِلْحَرْبِ عُدَّتَهَا، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ رَسُولًا يَقُولُ: «إِنَّكُمْ إِنَّمَا خَرَجْتُمْ لِتُحْرِزُوا[1] عِيرَكُمْ، وَرِجَالَكُمْ، وَأَمْوَالَكُمْ، وَقَدْ نَجَّاهَا اللهُ فَارْجِعُوا»[2].. إِنَّ اللهَ قَدْ حَفِظَ عَلَيْكُمْ أَمْوَالَكُمْ؛ فَعُودُوا فَلَا حَرْبَ هُنَالِكَ.

فَلَمَّا جَاءَ رَسُولُ أَبِي سُفْيَانَ أَخَذَتِ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ حَمِيَّةُ الْجَاهِلِيَّةِ الشَّقِيَّ الْبَائِسَ أَبَا جَهْلٍ -عَلَيْهِ لَعَائِنُ اللهِ-، وَقَالَ: «وَاللهِ! لَا نَرْجِعُ حَتَّىٰ نَرِدَ بَدْرًا، فَنُقِيمَ بِهَا ثَلَاثًا».

وَكَانَتْ بَدْرٌ فِي الْجَاهِلِيَّةِ سُوقًا لِلْعَرَبِ، يَجْتَمِعُونَ فِيهَا قَبَائِلَ وَطَوَائِفَ وَأَنْحَاءً، قَالَ: «وَاللهِ! لَا نَرْجِعُ حَتَّىٰ نَرِدَ بَدْرًا، فَنُقِيمَ بِهَا ثَلَاثًا، فَنَنْحَرَ الْجُزُرَ»، فَشَاءَ اللهُ أَنْ يُنْحَرَ وَمَنْ مَعَهُ، «وَنُطْعِمَ الطَّعَامَ، وَنُسْقَىٰ الْخَمْرَ»، فَشَرِبَتْ مِنْ دِمَائِهِمُ الْأَرْضُ، وَهَوَامُّ الْأَرْضِ، وَطَيْرُ السَّمَاءِ، «وَتَعْزِفَ عَلَيْنَا الْقِيَانُ

---

(١) «لتحرزوا»، أي: لتحفظوا وتصونوا، يقال: أحرزت الشيء أحرزه إحرازا إذا حفظته وضممته إليك وصنته عن الأخذ.

(٢) أخرجه ابن إسحاق في «**السيرة**»: (اختصار ابن هشام: ١/ ٦١٨) مرسلا، وأخرجه البيهقي في «**دلائل النبوة**»: (٣/ ١٠٨)، بإسناد صحيح، عن موسىٰ بن عقبة، قال مرسلا.

-الْمُغَنِّيَاتُ-»، فَنَاحَتْ عَلَيْهِمُ النَّوَائِحُ النَّائِحَاتُ، وَعَامَلَهُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ بِضِدِّ قَصْدِهِ، وَخَرَجُوا بَطَرًا كِبْرًا، وَعِنَادًا، وَرِئَاءَ النَّاسِ.

«وَتَسْمَعَ بِنَا الْعَرَبُ وَبِمَسِيرِنَا وَجَمْعِنَا؛ فَلَا يَزَالُونَ يَهَابُونَنَا أَبَدًا»، بَعْدَهَا فَامْضُوا(١).

فَلَنَنْحَرَنَّ، وَلَنُطْعِمَنَّ؛ حَتَّىٰ يَتَسَامَعَ بِنَا الْعَرَبُ، فَتَأْخُذَهُمُ الْهَيْبَةُ مِنْ جَنَابِنَا الْمَنِيعِ، وَمِنْ شَأْنِنَا الرَّفِيعِ، فَأَذَلَّ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ الْمُتَكَبِّرِينَ، وَجَعَلَ الْأَنْفَ رَاغِمًا، وَجَعَلَ النَّبِيَّ وَأَصْحَابَهُ وَمَنْ مَعَهُ سَالِمِينَ غَانِمِينَ -ﷺ وَرَضِيَ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ-.

﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الأنفال: ٤٧]: خَرَجُوا مُتَكَبِّرِينَ مُعَانِدِينَ، لَقَدْ نَجَّىٰ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ الْعِيرَ؛ فَلِمَ يَخْرُجُ النَّفِيرُ؟!!

يَخْرُجُونَ مُسْتَهِينِينَ بِمُحَمَّدٍ وَحِزْبِهِ ﷺ!

أَلَا شَاهَتِ الْوُجُوهُ!

❀❀❀

(١) أخرجه ابن إسحاق في «**السيرة**»: (اختصار ابن هشام: ١/ ٦١٨) مرسلا، وأخرجه البيهقي في «**دلائل النبوة**»: (٣/ ١٠٨)، بإسناد صحيح، عن موسىٰ بن عقبة، قال مرسلا.

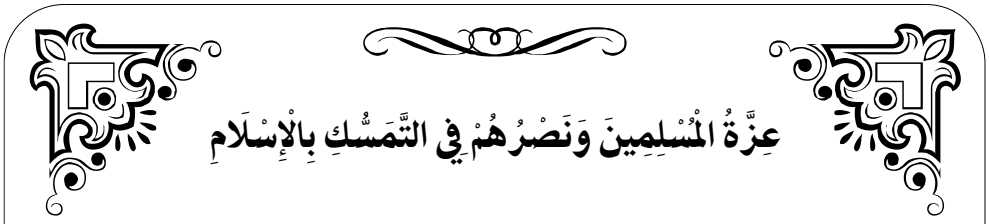

عِزَّةُ الْمُسْلِمِينَ وَنَصْرُهُمْ فِي التَّمَسُّكِ بِالْإِسْلَامِ

أَتَحْسَبُونَ النَّصْرَ يَأْتِي مِنَ الْأَرْضِ بِأَسْبَابِهَا؟!!

إِنَّمَا يَأْتِي النَّصْرُ مِنْ هَاهُنَا[1]، إِنَّمَا الْأَمْرُ يَأْتِي مِنْ هَاهُنَا، كَمَا قَالَ عُمَرُ رضي الله عنه لِأَبِي عُبَيْدَةَ رضي الله عنه عِنْدَمَا أَرَادَ عُمَرُ أَنْ يَدْخُلَ الشَّامَ، وَكَانَ عَلَيْهِ ثَوْبٌ مُرَقَّعٌ بِضْعَ عَشْرَةَ رُقْعَةً وَهُوَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ رضي الله عنه، وَكَانَ عَلَىٰ دَابَّةٍ عَجْفَاءَ تَقْتَحِمُهَا الْعَيْنُ، وَلَا تَزِلُّ عَنْهَا؛ وَلَكِنَّ عُمَرَ رضي الله عنه كَانَ هُوَ هُوَ رضي الله عنه، «خَرَجَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ إِلَىٰ الشَّامِ وَمَعَهُ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ، فَأَتَوْا عَلَىٰ مَخَاضَةٍ -ضَحْضَاحٌ مِنَ الْأَرْضِ- وَعُمَرُ عَلَىٰ نَاقَةٍ لَه، فَنَزَلَ عَنْهَا، وَخَلَعَ خُفَّيْهِ فَوَضَعَهُمَا عَلَىٰ عَاتِقِهِ، وَأَخَذَ بِزِمَامِ نَاقَتِهِ، فَخَاضَ بِهَا الْمَخَاضَةَ».

فَقَالَ لَهُ أَبُو عُبَيْدَةَ: «يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ! أَأَنْتَ تَفْعَلُ هَذَا؟! تَخْلَعُ خُفَّيْكَ، وَتَضَعُهُمَا عَلَىٰ عَاتِقِكَ، وَتَأْخُذُ بِزِمَامِ نَاقَتِكَ، وَتَخُوضُ بِهَا الْمَخَاضَةَ؟! مَا يَسُرُّنِي أَنَّ أَهْلَ الْبَلَدِ اسْتَشْرَفُوكَ».

---

(١) من السماء.

يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ! لَوْ أَنَّنَا أَتَيْنَاكَ بِبِرْذَوْن(١)، فَدَخَلْتَ وَأَخَذْتَ ثَوْبًا صَالِحًا سِوَىٰ هَذَا الَّذِي عَلَيْكَ؛ حَتَّىٰ لَا تَقْتَحِمَكَ الْعَيْنُ!

فَقَالَ عُمَرُ -يَدْفَعُ فِي صَدْرِهِ يَقُولُ -وَكَانَ لَهُ مُحِبًّا؛ إِذْ هُوَ أَمِينُ الْأُمَّةِ الَّذِي لَا يَخُونُ- قَالَ: «أَوَّهْ! لَوْ يَقُولُ ذَا غَيْرُكَ أَبَا عُبَيْدَةَ جَعَلْتُهُ نَكَالًا لِأُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ»(٢) يَعْنِي: لَأَنْزَلْتُ بِهِ عِقَابًا لَا أَقْوَىٰ عَلَىٰ إِنْزَالِ مِثْلِهِ بِمِثْلِكَ؛ فَإِنَّمَا يَحْجِزُنِي عَنْكَ مَا لَكَ مِنْ سَابِقِ فَضْلٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ؛ إِذْ هُوَ أَمِينُ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ.

لَوْ غَيْرُكَ قَالَهَا يَا أَبَا عُبَيْدَةَ!

إِنَّ الْأَمْرَ مِنْ هَاهُنَا(٣)، لَا مِنْ هَاهُنَا رضي الله عنه(٤).

وَلَقَدْ كُنْتُمْ أَذَلَّ الْأُمَمِ، كُنْتُمْ أَكَلَةَ رَأْسٍ، وَكُنْتُمْ أَصْحَابَ الشِّيحِ وَالْقَيْصُومِ(٥)، وَكُنْتُمْ بَدْوًا رُحَّلًا تَضْرِبُونَ الْمَضَارِبَ حَيْثُ قَطْرُ السَّمَاءِ، وَتَنْتَجِعُونَ الْمَوَارِدَ، وَتَضْرِبُونَ فِي مَخَاضَاتِ الْأَرْضِ، يَأْكُلُ أَحَدُكُمْ لِحَاءَ الشَّجَرِ حَتَّىٰ تَتَقَرَّحَ أَشْدَاقُهُ،

---

(١) البِرْذَوْنُ: يُطلق علىٰ غير العربي من الخيل والبغال، من الفصيلة الخيلية، عظيم الخِلْقة، غليظ الأعضاء، قوي الأرجل، عظيم الحوافر.

(٢) أخرجه الحاكم (١/ ١٣٠)، وهو عند ابن أبي شيبة مختصرا (٧/ ٩٣)، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» (٢٨٩٣).

(٣) من السماء؛ من عند الله.

(٤) من الأرض.

(٥) القَيصُومُ: نوعٌ من نبات الأرْطُماسيا، من الفَصيلة المركَّبة، قريبٌ من نوع الشِّيح، كثير في البادية.

ثُمَّ فِي ثَلَاثِينَ عَامًا مِنَ الِاتِّحَادِ، مِنَ الْوَحْدَةِ، مِنَ التَّوْحِيدِ، مِنَ الْإِيمَانِ، مِنْ نَفْيِ الشِّرْكِ، وَالنِّفَاقِ، وَالرِّيَاءِ، وَالسُّمْعَةِ، مِنَ الْمَحَبَّةِ تَتَغَلْغَلُ بَيْنَ النُّفُوسِ حَتَّىٰ يَصِيرَ الْجَوُّ مَشْحُونًا بِلَا نِزَاعٍ وَلَا مُشَاحَنَةٍ وَلَا فَشَلٍ، بِلَا رِيَاءٍ وَلَا نِفَاقٍ وَلَا سُمْعَةٍ، جَوٌّ غَيْرُ مَسْمُومٍ، وَأَمَّا جَوُّ الْمُشَاحَنَةِ وَالْمُنَازَعَةِ فَجَوٌّ مَسْمُومٌ مَسْمُومٌ، وَلُحُومُ الْعُلَمَاءِ مَسْمُومَةٌ، مَنْ شَمَّهَا مَرِضَ، وَمَنْ ذَاقَهَا مَاتَ.

إِنَّ الْجَوَّ الْمَشْحُونَ بِالنِّزَاعِ جَوٌّ مَسْمُومٌ حَقًّا، وَهَذَا إِمَامُنَا الشَّعْبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ يَقُولُ(١): «لَقَدْ بَغَّضَ هَؤُلَاءِ إِلَيَّ الْمَسْجِدَ -لِنِزَاعِهِمْ وَنِقَارِهِمْ كَمُنَاقَرَةِ الدُّيُوكِ بَعْضِهَا بَعْضًا، كَمُجَالَدَةِ التُّيُوسِ بَعْضِهَا بَعْضًا-، لَقَدْ بَغَّضَ هَؤُلَاءِ إِلَيَّ الْمَسْجِدَ حَتَّىٰ صَارَ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ كُنَاسَةِ أَهْلِي» رَحِمَهُ اللَّهُ.

أَمَّا عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **فَيَقُولُ**: «إِنَّا كُنَّا أَذَلَّ قَوْمٍ فَأَعَزَّنَا اللهُ بِالْإِسْلَامِ؛ فَمَهْمَا نَطْلُبُ الْعِزَّةَ بِغَيْرِ مَا أَعَزَّنَا اللهُ بِهِ أَذَلَّنَا اللهُ»(٢)؛ أَحَطَّ الْأُمَمِ، أَحْقَرَ الْأُمَمِ، لَا هُنَا وَلَا هُنَاكَ، لَيْسُوا مَعْدُودِينَ فِي أُمَمِ الْأَرْضِ؛ بَلْ لَيْسُوا مَعْدُودِينَ مِنَ الْأَحْيَاءِ.

الرُّومُ، وَالْفُرْسُ، وَالْأَحْبَاشُ، وَالصَّقَالِبَةُ، وَالْقِبْطُ، وَالْأَرْمَنُ، وَالْبَرْبَرُ، وَأَجْنَاسُ الْأَرْضِ كَانَتْ مَعْدُودَةً فِي الْأَنَاسِيِّ عَدًّا، وَهَؤُلَاءِ لَا ذِكْرَ لَهُمْ هُنَالِكَ وَلَا هُنَا، فَأَتَىٰ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ بِمُحَمَّدٍ ﷺ، فَصِرْتُمْ بِطَاعَتِهِ أَعَزَّ النَّاسِ؛ فَمَهْمَا الْتَمَسْتُمُ الْعِزَّ فِي غَيْرِ مَا جَاءَكُمْ بِهِ مُحَمَّدٌ ﷺ أَذَلَّكُمُ اللهُ.

---

(١) أخرجه ابن سعد في «الطبقات» (٦/ ٢٥١)، «ذم الكلام وأهله» لأبي إسماعيل الهروي (٣/ ٥)، وابن بطة في «الإبانة الكبرىٰ» (٢/ ٥١٥) غيرهم.

(٢) تقدم تخريجه.

هِيَ ضَرْبَةُ لَازِبٍ(١)، وَهُوَ قَدَرٌ مَحْتُومٌ، مَنِ الْتَمَسَ الْعِزَّ فِي مَوَاطِنِ الذُّلِّ فَلَا بُدَّ أَنْ يُذَلَّ، وَمَنِ الْتَمَسَ الطَّهَارَةَ وَالنَّظَافَةَ فِي الْقِمَامَاتِ وَالْمَرَاحِيضِ فَلَا يُمْكِنُ أَنْ يَعُودَ طَاهِرًا نَقِيًّا، بَلْ لَا بُدَّ أَنْ يَعُودَ نَجِسًا شَقِيًّا.

لَا بُدَّ مِنَ الْبَحْثِ عَنِ الْأَمْرِ حَيْثُ يُمْكِنُ أَنْ يُوجَدَ؛ بَلْ حَيْثُ يَجِبُ أَنْ يُبْحَثَ عَنْهُ، وَأَمَّا هَذَا الَّذِي يَحْدُثُ مِنَ الْهَرَجِ فِي أُمَّةِ مُحَمَّدٍ؛ فَوْضَىٰ عِلْمِيَّةٌ بِغَيْرِ زِمَامٍ وَلَا خِطَامٍ، وَعَوَامٌّ لَا يَدْرِي الْوَاحِدُ مِنْهُمْ كَيْفَ يَسْتَنْجِي مِنْ رَجِيعِهِ، وَلَا كَيْفَ يَسْتَجْمِرُ مِنْ غَائِطِهِ، وَلَا كَيْفَ يَقْضِي حَاجَتَهُ، يُفْتِي فِيمَا لَوْ عَرَضَ لِابْنِ الْخَطَّابِ لَجَمَعَ لَهُ آلَ بَدْرٍ!!

فَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ الْعَظِيمِ.

أَسْبَابُ النَّصْرِ بِشُرُوطِهِ ذَكَرَهَا اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ، لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ، وَلَا رَادَّ لِقَضَائِهِ، فَمَنْ كَانَ عِنْدَهُ أَسْبَابٌ لِلنَّصْرِ سِوَىٰ أَسْبَابِ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ الَّتِي جَعَلَهَا لِلنَّصْرِ أَسْبَابًا فَلْيَدُلَّ النَّاسَ عَلَيْهَا، وَلْيَهْدِ الْبَشَرِيَّةَ إِلَيْهَا، وَهَيْهَاتَ هَيْهَاتَ! دُونَ ذَلِكَ خَرْطُ الْقَتَادِ -وَقَدْ أَصْبَحَ خَرْطُهُ الْيَوْمَ مِنْ أَيْسَرِ مَا يَكُونُ-، دُونَ ذَلِكَ الْإِتْيَانُ بِعَنْقَاءِ مَغْرِبٍ -وَقَدْ أَصْبَحَ هَذَا الْأَمْرُ الْيَوْمَ مَيْسُورًا-، هُوَ رَابِعُ الْمُسْتَحِيلَاتِ -عِبَادَ اللهِ-.

اللَّهُمَّ اهْدِنَا فِيمَنْ هَدَيْتَ، وَعَافِنَا فِيمَنْ عَافَيْتَ، وَتَوَلَّنَا فِيمَنْ تَوَلَّيْتَ، وَقِنَا وَاصْرِفْ عَنَّا شَرَّ مَا قَضَيْتَ.

---

(١) اللازب: من لزب الشيء إذا ثبت واشتد أو لصق وصلب، يقال: صار الأمر ضربة لازب أي: لازما ثابتا.

اللَّهُمَّ خُذْ بِأَيْدِينَا إِلَيْكَ، وَأَقْبِلْ بِقُلُوبِنَا عَلَيْكَ، اللَّهُمَّ ثَبِّتْ أَقْدَامَنَا، وَاهْدِ قُلُوبَنَا، وَبَيِّضْ وُجُوهَنَا.

اللَّهُمَّ ثَقِّلْ مَوَازِينَنَا، اللَّهُمَّ طَهِّرْ أَلْسِنَتَنَا، اللَّهُمَّ ثَقِّلْ مَوَازِينَنَا، اللَّهُمَّ سَدِّدْ أَلْسِنَتَنَا، اللَّهُمَّ أَصْلِحْ بَالَنَا، وَاشْرَحْ صُدُورَنَا، اللَّهُمَّ اسْتُرْ عَوْرَاتِ الْمُسْلِمِينَ، اسْتُرْ عَوْرَاتِ الْمُسْلِمِينَ.

اللَّهُمَّ اهْدِ الشَّبَابَ الْحَائِرَ الْمِسْكِينَ، اهْدِ الشَّبَابَ الْحَائِرَ الْمِسْكِينَ، اللَّهُمَّ اهْدِ الشَّبَابَ الْحَائِرَ الْمِسْكِينَ.

اللَّهُمَّ أَلِّفْ بَيْنَ قُلُوبِ الْمُسْلِمِينَ حُكَّامًا وَمَحْكُومِينَ، وَخُذْ بِنَوَاصِي الْجَمِيعِ إِلَىٰ سَبِيلِكَ الْحَقِّ يَا أَكْرَمَ الْأَكْرَمِينَ.

اللَّهُمَّ خُذْ بِأَيْدِينَا إِلَيْكَ، وَأَقْبِلْ بِقُلُوبِنَا عَلَيْكَ.

اللَّهُمَّ صُنْ وَطَنَنَا وَجَمِيعَ أَوْطَانِ الْمُسْلِمِينَ، احْفَظْ دِيَارَنَا وَجَمِيعَ دِيَارِ الْمُسْلِمِينَ، اللَّهُمَّ احْقِنْ دِمَاءَ الْمُسْلِمِينَ، احْقِنْ دِمَاءَ الْمُسْلِمِينَ، اللَّهُمَّ أَلِّفْ بَيْنَ قُلُوبِ الْمُسْلِمِينَ، وَحِّدْ صُفُوفَ الْمُسْلِمِينَ، اللَّهُمَّ أَعْلِ رَايَةَ الْمُسْلِمِينَ، أَعْلِ رَايَةَ الْمُسْلِمِينَ، احْفَظْ عَوَاصِمَ الْمُسْلِمِينَ، اللَّهُمَّ صُنْ دِيَارَ الْمُسْلِمِينَ، اللَّهُمَّ اسْتُرْ عَوْرَاتِ الْمُسْلِمِينَ، وَآمِنْ رَوْعَاتِ الْمُسْلِمِينَ.

اللَّهُمَّ جَنِّبْ وَطَنَنَا مُضِلَّاتِ الْفِتَنِ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ، وَجَمِيعَ أَوْطَانِ الْمُسْلِمِينَ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ.

اللَّهُمَّ هَيِّءْ لِأُمَّةِ نَبِيِّكَ أَمْرَ رُشْدٍ يُعَزُّ فِيهِ أَهْلُ الطَّاعَةِ، وَيُذَلُّ فِيهِ أَهْلُ الْمَعْصِيَةِ، وَيُقْضَىٰ فِيهِ بِكِتَابِكَ وَسُنَّةِ نَبِيِّكَ ﷺ.

اللَّهُمَّ احْرُسْنَا بِعَيْنِكَ الَّتِي لَا تَنَامُ، وَبِرُكْنِكَ الَّذِي لَا يُضَامُ، وَبِقُدْرَتِكَ عَلَيْنَا، لَا نَهْلِكُ وَأَنْتَ رَجَاؤُنَا، لَا نَهْلِكُ وَأَنْتَ رَجَاؤُنَا، لَا نَهْلِكَ وَأَنْتَ رَجَاؤُنَا.

اللَّهُمَّ أَحْسِنْ خِتَامَنَا، وَاجْعَلْ آخِرَ كَلَامِنَا مِنَ الدُّنْيَا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ ﷺ.

وَصَلَّىٰ اللهُ وَسَلَّمَ عَلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَجْمَعِينَ(*).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ خُطْبَة: «شُرُوطُ النَّصْر وَالتَّمْكِين» - الْجُمُعَة: ٦ مِنْ جُمَادَىٰ الثَّانِي ١٤٢٥هـ| الْمُوَافِق: ٢٣ مِنْ يُولْيُو ٢٠٠٤م.

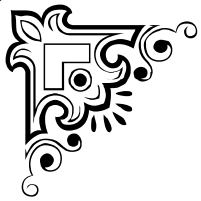

الْفهْرِسُ

مُقَدِّمَةٌ ٣

شَهْرُ رَمَضَانَ هُوَ شَهْرُ الْأَحْدَاثِ الْعَظِيمَةِ: ٤

- بَعْثَةُ النَّبِيِّ ﷺ، وَنُزُولُ الْوَحْيِ فِي رَمَضَانَ ٤

- غَزْوَةُ بَدْرٍ فِي رَمَضَانَ فِي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ مِنَ الْهِجْرَةِ ٩

- فَتْحُ مَكَّةَ وَتَحْطِيمُ الْأَصْنَامِ فِي رَمَضَانَ ١٤

- حَفْرُ النَّبِيِّ ﷺ الْخَنْدَقَ فِي رَمَضَانَ ١٦

- فَتْحُ الْأَنْدَلُسِ فِي رَمَضَانَ ١٧

- مَوْقِعَتَا مَرْجِ الصُّفَّرِ، وَعَيْنِ جَالُوتَ فِي رَمَضَانَ ١٧

- حَرْبُ الْعَاشِرِ مِنْ رَمَضَانَ، آخِرُ انْتِصَارَاتِ الْمُسْلِمِينَ ١٨

الْأَسْبَابُ الْحَقِيقِيَّةُ لِنَكْسَةِ عَامِ (١٩٦٧م) ٢٠

نَصْرُ الْعَاشِرِ مِنْ رَمَضَانَ، وَشِعَارُ «اللهُ أَكْبَرُ» ٢٢

أَسْبَابُ نَصْرِ الْعَاشِرِ مِنْ رَمَضَانَ ٢٤

جُمْلَةٌ عَظِيمَةٌ مِنَ انْتِصَارَاتِ الْمُسْلِمِينَ فِي رَمَضَانَ ٢٧

شُرُوطُ النَّصْرِ وَالتَّمْكِينِ ٣٠
مِنْ شُرُوطِ النَّصْرِ: الثَّبَاتُ عِنْدَ لِقَاءِ الْعَدُوِّ ٣١
مِنْ شُرُوطِ النَّصْرِ: ذِكْرُ اللهِ كَثِيرًا ٣٤
مِنْ شُرُوطِ النَّصْرِ: طَاعَةُ اللهِ وَرَسُولِهِ ﷺ..... ٤٠
مِنْ شُرُوطِ النَّصْرِ: عَدَمُ التَّنَازُعِ وَالِاخْتِلَافِ..... ٤١
مِنْ شُرُوطِ النَّصْرِ: الصَّبْرُ..... ٤٧
مِنْ شُرُوطِ النَّصْرِ: عَدَمُ التَّشَبُّهِ بِالْكُفَّارِ فِي الْبَطَرِ وَالْكِبْرِ وَالطُّغْيَانِ..... ٤٩
عِزَّةُ الْمُسْلِمِينَ وَنَصْرُهُمْ فِي التَّمَسُّكِ بِالْإِسْلَامِ ٥٤
الْفهْرِسُ ٦١